المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الثالث - الإصدار الثاني وثلاثون
تأريخ الإصدار: 20 يونيو 2022 م

قراءة لامية العرب في ضوء الأسس الأدبية والنقدية

Reading Lamiya Al-Arab In light of literary and critical foundations

إعداد الباحث/ ليو يونق دي
باحث دكتوراه، كلية الآداب، جامعة أفريقيا العالمية، جمهورية السودان
Email: 564122409@qq.com

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى دراسة لامية الشنفرى وتحليلها من حيث الرؤيا الفكرية التي طرحتها والملامح الأسلوبية التي تميزت بها، فقد عكستْ القصيدة من حيث الموضوع والبناء الفني رؤية خاصة بها، وخصوصية فنية ميزتها عن غيرها من أشعار الصعاليك.

إن لامية الشنفرى تشكل لوحة متكاملة لحياة الصعاليك بكل خشونتها وصعوبتها، وما يكابده الصعاليك يوميًا من صعوبة العيش، ومقاومة الجوع، ومحاربتهم للطبيعة بكل قسوتها وصعوبتها، ممّا جعلهم في صراع دائم مع تلك الظروف للبقاء على قيد الحياة التي ألجأتهم إليها ظروف الحياة والتقاليد البدوية، فهي صورة صادقة لما عرف عن شعرهم وعن أخبارهم، واستطاع الشاعر من خلال رسمه الدقيق لهذه الحياة العصيبة عبر صياغة جميلة توشحت بقالب قصصي فني مميز الكشف عن رؤيته تجاه المجتمع والحياة، والذات، والتركيز على القيم الغائبة في مجتمعه سعياً إلى بناء المجتمع المتكافل.

لو كانت الحياة شجرة لكان الجمال زهرها والشعر طائرها، رغم أن الزمن باعد بيننا وبين ازدهار هذه القصيدة فمازال لم يفقد سلطانها الوجدانية على أنفسنا، ولم يفقد سطوتها على أحاسيسنا، كلما قرأناها قراءة متأنية فنجد منها متعة وجدانية، ودوافع الحماسة، وتدفق الحيوية، فهي تجسد لنا كيف يسمو المرؤ بوجدانه وإحساسه وذوقه، وتعرض لنا كيف يكون الأدب الحقيقي في لفظه وفي معناه، في خياله وفي تعبيره، في عمقه وفي دقة حسه، فتصقل نفوسنا وتحركها وتزيدها نورا وناراً.

الكلمات المفتاحية: الأدب الجاهلي، الشنفرى، لامية العرب، الصعاليك.

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الثالث - الإصدار الثاني وثلاثون
تأريخ الإصدار: 20 يونيو 2022 م

Reading Lamiya Al-Arab in the light of literary and critical foundations

Liu Young De
PhD student at the Faculty of Arabic Language, International University of Africa, Sudan

Abstract:

This research aims to study Lamiya Al-Shanfari and analyze it in terms of the intellectual vision that she presented and the stylistic features that characterized her.

Lamaiya Al-Shanfari constitutes an integrated panel for the life of the tramps with all their roughness and difficulty, and the daily difficulties of the tramps in living, resisting hunger, and their fight against nature with all its cruelty and difficulty, which made them in a constant struggle with those conditions to survive, to which the conditions of life and Bedouin traditions resorted to. A true picture of what was known about their poetry and their news, and the poet was able, through his accurate drawing of this difficult life, through a beautiful formulation that was adorned with a distinctive artistic story template, to reveal his vision towards society, life, and the self, and focus on the absent values in his society in an effort to build a symbiotic society.

If life were a tree, beauty would be its blossom and poetry its bird, although time has separated us from the flourishing of this poem, it still has not lost its emotional power over ourselves, nor has it lost its grip on our feelings. It shows us how a person transcends his conscience, his senses and his taste, and shows us how true literature is in its wording and meaning, in its imagination and expression, in its depth and in the accuracy of its sense, so that it refines and moves our souls and increases it with light and fire.

Keywords: pre-Islamic literature, Al-Shanfari, Lamiya Al-Arab, Al-Sa'alik.

المقدمة

الحمد لله الَّذي أكرمنا بأفصـح البيان، وخلد العربية بالقرآن، والصَّـلاة والسَّـلام على معلم النَّاس الخير، أشـرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ـ وبعد:

فمن المعروف أن الأدب ليس ثمرة عقل الانسان فقط إنما هو بمثابة مرآة صافية تعكس ثقافة الأمة وحضارتها، فالشعر هو وعاء الأدب، وديوان العرب، ووثيقة تاريخية يمكن الاعتماد عليها في التعرف على أحوال العرب، قال ابن سلام عن أهمية الشعر عند العرب: "كان الشعر في الجاهلية ديوان علمهم ومنتهى حكمهم، يأخذون به وإليه يصيرون" [1] أن الشعر الجاهلي مع احتوائه لصور من حياة العرب وتاريخهم وثقافتهم، فهو السجل الحقيقي لحياة العرب في العصر الجاهلي، فتهدف هذه الدراسة للكشف عن الظواهر اللغوية والاجتماعية والنفسية والفنية في لامية العرب.

فمن الدواعي التي دفعتني إلى هذه الدراسة أن هذه القصيدة تمثل صورة واقعية لحياة الصعاليك في العصر الجاهلي، بما تحوي من مبادئ تنادي بالتحرر من قيود العادات الظالمة، فكل صورة تجسد لوحة جميلة أمام عيوننا كأنها رسوم متحركة، وبالإضافة لما تحتله من مكانة بارزة "تزاحم منزلة المعلقات، و هي، من حيث الشهرة وعناية العلماء بها، ترتفع إلى منزلة لامية كعب بن زهير (بانت سعاد) التي أنشدها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، دون أن تُعتمد في شهرتها مرتكزاً دينياً كقصيدة كعب، بل بلغت ما بلغته بفضل ما فيها من جودة شعرية، وطرافة المشاهد الصحراوية المصورة، و وفرة المادة اللغوية التي أغرت العلماء بشرحها وإعرابه."[2]

أهداف البحث:

1- إعطاء لمحة تاريخية عن طوائف الصعاليك وأسباب تصعلكهم.
2- التعرف على سيرة الشنفرى وشعره.
3- الإيضاح عن البناء الفكري والخصائص الفنية في لامية الشنفرى.
4- الكشف عن صور لامية الشنفرى وبنيتها، ومدى ارتباطها ببيئتها الاجتماعية.

أهمية البحث:

تتضح أهمية البحث من خلال دراسة لامية الشنفرى وتحليلها من حيث الرؤيا الفكرية التي طرحتها والملامح الأسلوبية التي تميزت بها، لاستجلاء خصائصها الفنية وبنيتها الفكرية والعوامل النفسية من خلال دراسة نقدية تحليلية تستند على القراءة الواعية الموضوعية.

منهج البحث:

لقد اتبعت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لأنه الأنسب لإجراء مثل هذه الدراسات.

1 طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام، ص 24.

2ديوان الشنفرى، د. إميل بديع يعقوب، ص 19.

التمهيد:

إن شخصية ناظم القصيدة تلعب دوراً مهماً فيما تتصف به من خصائص؛ فيتعين علينا أن نسلط الضوء على مفهوم الصعلكة وطوائف الصعاليك، ونشأتهم كإضاءة للدراسة التي نحن بصددها؛ لنستبين بها العوامل البيئية والنفسية التي أفرزت لنا الخصائص الشعرية في هذه القصيدة الرائعة.

من هم الصعاليك؟

الصعلوك في اللغة: الفقير الذي لا مال له، وزاد الأزهري: ولا اعتماد، وقد تصعلك الرجل إذا كان كذلك. قال حاتم الطائي:[3]

غَنِينا زمانًا بالتَّصعْلُكِ والغِنَى ... فكُلًّا سَقاناه بكأسَيْهِما الدَّهرُ

من خلال هذا التعريف يمكن أن نقول أن الصعلوك هو الرجل الذي لا مال له يستعين به لمواجهة أعباء الحياة، ولا اعتماد له يتكئ عليه، فهو يعارض شدة الحياة بوحده.

أما الصعلوك في الإصطلاح: فهو رجل خارج على القانون، ومتمرد على المجتمع بالنهب والسلب والإغارة، وهذه الكلمة تناقلت كثيراً على ألسنة الشعراء الجاهليين؛ لنلقي نظرة عليها:[4]

تَقولُ سُلَيمى لا تَعَرَّض لِتَلفَةٍ ... ولَيلَكَ عن لَيلِ الصَعاليكِ نائِمُ

وكَيفَ يَنامُ اللَيلَ مَنْ جُلُّ مالِهِ ... حُسامٌ كَلَون المِلحِ أبيَضُ صارِمُ

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ الصَّعالِيكَ نَوْمُهمْ ... قَلِيلٌ إذا نامَ الخَلِيُّ المُسالِمُ

من الواضح أن الصعاليك هنا ليسوا الفقراء الذين لا يوجد لديهم شيء لسد المجاعة، ولا معول لهم ليعتمدوا عليه، بل الذين يسهرون ليالهم في إقامة عمليات النهب والسلب والإغارة.

طوائف الصعاليك:

الصعاليك على حسب أسباب تصعلكهم قسمهم الأدباء إلى ثلاث طوائف:

أ. الفُقراء:

هم الذين لا يملكون أموالاً، ولا بهائم، ولا مزارع، فأذلهم المجتمع واستحقرهم، الأمر الذي اضطرهم إلى الانتماء إلى الصعاليك، فيغيرون على قومهم ويسلبون ممتلكاتهم، ثم يشاركون معهم شركائهم في توزيع الغنائم، ومن هؤلاء الصعاليك عروة بن الورد، ويعد رئيس الصعاليك، حين يشكو لزوجته بما لقيه في مجتمعه من الذل والحقر، والكراهة قال:[5]

دَعيني لِلغِنى أسعى فَإِنّي ... رَأَيتُ النَاسَ شَرُّهُمُ الفَقيرُ

وَأَبعَدُهُم وَأَهوَنُهُم عَلَيهِم ... وَإِن أمسى لَهُ حَسَبٌ وَخيرُ

3ديوان حاتم الطائي، أبو صالح يحي بن مدرك، ص66.

4عمر بن براقة الهمداني شعره وسيرته، شريف راغب علاونة، ص 109.

5ديوان عروة بن الورد، ص 58.

وَيُقصيهِ النَديُّ وَتَزدَريهِ حَليلَتُهُ وَيَنهَرُهُ الصَغيرُ
وَيُلفى ذو الغِنى وَلَهُ جَلالٌ يَكادُ فُؤادُ صاحِبُهُ يَطيرُ
قَليلٌ ذَنبُهُ وَالذَنبُ جَمٌّ وَلَكِن لِلغِنى رَبٌّ غَفورُ

ب. الخُلعاء:

هم الذين تبرأت قبائلهم منهم بسبب كثرة جرائرهم التي أنقضت ظهور القبائل وأثقلت عليهم من الفديات والغرامات، فأضطرت القبائل إلى فصلهم من القبيلة والتبرؤ منهم، فمن أولئك الخلعاء حاجز الأزدي، وأبو الطمحان القينى، وقيس بن الحدادية.

ت. الأغربة السَّود:

عرفهم بأغربة العرب لسود ألوانهم، وآباؤهم لا يعترفون بأنسابهم مع أنهم أنجبوهم من ظهورهم، وأغلبهم ينسبون إلى أمهاتهم، ولايملكون حقوقهم من القبائل، على الرغم من أنهم يمتازون بالصفات المميزة عن غيرهم مثل الشجاعة، وسرعة العدو، والفروسية، فمن ضمنهم الشنفرى، وتأبط شرا، والسليك بن السلكة، فالتعامل السيئ من قومهم، جعلهم يلجؤون إلى التصعلك، كما قال الشنفرى في إنذار قومه بارتحاله عنهم:[6]

أَقيموا بَني أُمّي صُدورَ مَطِيَّكُم فَإِنّي إِلى قَومٍ سِواكُم لَأَميلُ
وَفي الأَرضِ مَنأى لِلكَريمِ عَنِ الأَذى وَفيها لِمَن خافَ القِلى مُتَعَزَّلُ

أسباب الصعلكة:

والأسباب التي دفعت الصعاليك إلى العزل عن قبائلهم واختيار مسلكهم العدواني، متعددة ومتنوعة، يمكن أن نحصر هذه الأسباب التي أفصحوا عنها في أشعارهم وبرروا بها مسلكهم العدواني في التالي:

1- الفِرار من الفقر:

والفقر ارتبط بالصعلكة من حيث مدلولها اللغوي بمعنى الفقر والتجرد، فكل الصعاليك فقراء حتى سيد الصعاليك عروة بن الورد، وكان الفقر أصبح أبرز سماتهم، وليس من الصعب أن نلاحظ في حياة الصعاليك صيحات الجوع التي رددوها في حياتهم وصوروها في أشعارهم، والفقر قد يكون أثقالاً يحملونها طول حياتهم، أو خرجة لم يتخلصوا منها حتى خرجوا من قبائلهم لهروب منه بل لازمهم هذا الفقر حتى نهاية حياتهم، قال الدكتور الجواد علي:" والجوع حليف ملازم للصعاليك لم ينفر منهم ولم يبتعد عنهم لذلك كثر الحديث عنه في شعرهم وأخبارهم، وقد كانوا يهربون منه، لكنهم لم يفلتوا منه، فقد كان ممسكاً بهم، ملازماً لهم ما داموا صعالكة فالجوع نفسه جزء من أجزاء الصعلكة" [7]. والجوع أغلب موضوعات شعرهم، وصبغها بلون التبرم والشكوى، وكاد كل شاعر منهم لم يخلو عن ذكر الجوع في أشعارهم؛ قال عروة بن الورد:[8]

6ديوان الشنفرى، ص58.
7المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ج9، ص606.
8ديوان عروة بن الورد، ص97.

دَعـيـنـي أطَـوِّف فـي الـبِـلادِ لَـعَـلّـنـي ... أفـيـدُ غِـنـىً فـيـهِ لِـذي الـحَـقِّ مُـحـمِـلُ
أَلَـيـسَ عَـظـيـمـاً أن تُـلِـمَّ مُـلِـمَّـةٌ ... وَلَـيـسَ عَـلَـيـنـا فـي الـحُـقـوقِ مُـعَـوَّلُ
فَـإن نَـحـنُ لَـم نَـمـلِـك دِفـاعـاً بِـحـادِثٍ ... تُـلِـمُّ بِـهِ الأيّـامُ فَـالـمَـوتُ أجـمَـلُ

2- النفور من الهوان:

قد لاحظنا في حياة الصعاليك خاصية الإباء، ورفض خضوع لقانون القبيلة وعاداتها وتقاليدها، فهذا الرفض الحاد يرجع إلى معاملة التمييز من قبائلهم، ولا تعترف بنسب أبناء السوداء. وتأبط شرا أمه أمة حبشية سوداء" فورث عنها سوادها وربما كان لسواده وتعيير عشيرته له به وبأنه ابن أمة أثر في تصعلكه" (9)

وعروة بن الورد وقف على هؤلاء الصعاليك، ولم يصرف النظر عن معاناتهم بل انضم إلى صفوفهم، مع أن والده من أشراف القبيلة، والقبيلة لم تنبذه ولكنه نبذها، ويرى هذه المعاملة غير مقبولة وغير معقولة، ويصرِّح أن لهؤلاء الصعاليك حق في الحصول على القوت والغذاء والمساعدة: (10)

ذَرِيـنِـي ونـفـسِـي أمَّ حَسَّـانَ إنَّـنِـي ... بِـهَـا قـبـل أَلّا أمـلِـكَ الـبـيـعَ مُشـتَـرِي
أحـاديـثَ تـبـقَـى وَالـفَـتَـى غـيـرُ خـالِـدٍ ... إذَا هُـوَ أمْسَـى هَـامـةً تَـحـت صَـيِّـرِ
تُـجـاوبُ أحـجـارَ الـكِـنـاسِ وتشـتـكِـي ... إلَـى كُـلِّ مَـعـرُوفٍ تَـرَاهُ ومُـنـكَـرِ

وهؤلاء الصعاليك يشكون بهوان منزلتهم الاجتماعية، ويعانون بعدم تقدير المجتمع لهم، وعجزهم عن أخذ نصيبهم من الحياة كما يأخذ سائر أفراد مجتمعهم لا لأنهم عاجزون إنما لأن مجتمعهم ظلمهم وحرمهم من تلك العدالة الاجتماعية التي يتطلع إليها كل فرد في مجتمعهم، الأمر الذي يضطرهم إلى المغامرة بحياتهم في سبيل الوصول إلى الغاية التي يتطلعون إليها، وهم واثقون على أن الحق للقوة والغاية تبرر الوسيلة.

إذا المَرءُ لَم يَبعَث سَـواماً وَلَم يُرَح ... عَـلَـيـهِ وَلَـم تَـعـطِـف عَـلَـيـهِ أقـارِبُـه(11)
فَـلَـلـمَـوتُ خَـيـرٌ لِـلـفَـتـى مِـن حَـيـاتِـهِ ... فَـقـيـراً وَمِـن مَـولـىً تَـدِبُّ عَـقـارِبُـه

3- اللجوء إلى السلاح:

الظلم الاجتماعي والحرمان من حصول على نصيب ما ينبغي عليهم، يدفع فريقاً من الصعاليك إلى اللجوء إلى السلاح لتعدى القبائل، ويأخذون نصيبهم في الحياة بوسائلهم، ويرون أن حقهم في أيدي غيرهم وبخاصة في أيدي الأغنياء البخلاء،

9تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، ج1، ص377.
10 ديوان عروة بن الورد، ص67.
11المرجع السابق-ص58.

فلا حول لهم في أخذ نصيبهم إلا بالسلاح:[12]

مَتى تَجمَعِ القَلبَ الذَكيَّ وَصارِماً وَأَنفاً حَمِيّاً تَجتَنِبكَ المَظالِمُ

متى تطلب المال الممنع بالقنا تعش ماجداً أو تخترمك المخارمُ

وهؤلاء الصعاليك لم يتراجعوا إلى الوراء في القتال الشديد، ولا يخشون من الموت بل يرونه أخف وطأة من عيشة الذل والضعة قال أبوخراشي الهذلي:[13]

مَخافَةَ أَن أَحيا بِرَغمٍ وَذِلَّةٍ وَلَلمَوتُ خَيرٌ مِن حَياةٍ عَلى رَغمِ

والذل مرفوض والظلم غير مقبول، وهؤلاء الصعاليك شقوا طريقة جديدة متمردة من أجل حريتهم وعزة النفس، ويلجؤون إلى السلاح لتعدى القبيلة التي لم تعاملهم معاملة كريمة" الفارس الصعلوك أبعد الناس تعلقاً بأماني الحياة، فهو راغب عن الدنيا، وإن كان من أكابر عشاق مسراتها وملاذها الطبيعية المباشرة؛ لكنه يعف عن عيشة مع الضعة وعن غذاء مع الذل، وعن عمر بلا مغامرة أو مأثرة فروسية، ولذلك كانت اللحظة الفنية هي ذروة الحياة عنده، فكان يحمل شعار: أن يعيش الإنسان عرضاً وعمقاً وألا يعيش طولاً واستمراراً رتيباً عقيماً." [14]

تعويل على القوى الشخصية:

الصعلوك خلع القبائل وأبى أن يقبل ما عانى به من الهوان والضعة فامتشق سيفه ويدافع عن نفسه بغزو وسطو وقتال، أحياناً هو صياد والقبيلة طرائده وهو يطاردها بكل الشجاعة، وحيناً آخر هو فريسة تصطادها القبيلة و يتربصوها من كل ناحية، لذلك عاش الصعاليك في حذر واضطراب حتى لم يعد يستطيع أن ينام مطمئناً بل كان على هبة الاستعداد والحذر دوماً، والمخاطر تقرب إليه من كل النواحي قال الشنفرى :[15]

تَنَامُ إِذَا مَا نَامَ يَقْظَى عُيُونُهَا حِثَاثًا إِلَى مَكْرُوْهِهِ تَتَغَلْغَلُ

وَإِلْفُ هُمُومٍ مَا تَزَالُ تَعُودُه عِيَادًا كَحُمَّى الرِّبْعِ أَوْ هِيَ أَثْقَلُ

إِذَا وَرَدَتْ أَصْدَرْتُهَا ثُمَّ إِنَّهَا تَثُوبُ فَتَأْتِي مِنْ تُحَيْتٍ وَمِنْ عَلُ

والعيش في مثل هذه الظروف القاسية لابد له من قوى خاصة تساعده في حربه وتنجوه من المخاطر، بذلك يمتاز معظم الصعاليك بالقوة الشخصية القوية مثل العدو والفروسية، وسعة الحيلة، واشتهر أكثر من واحد منهم بشدة العدو حتى ضُرب المثل فيهم: (أعدى من السليك) و(أعْدَى من الشنفرى) [16]

12عمر بن براقة الهمداني شعره وسيرته، ص114.

13ديوان الهذليين، ج2، ص128.

14موسوعة الشعر العربي، مطاع صفدي وإيليا حاوي، ج1، ص54.

15 ديوان الشنفرى، ص 62.

16مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني، ج1، ص46-47.

لامية الشَّنفرى

سيرة الشاعر:

اختلف الرواة في اسمه كما اختلفوا في نسبه، فقال بعضهم: إن الشنفرى لقب له، واسمه عمرو بن براق، أو ثابت بن أوس، أو ثابت بن جابر، وذهب معظم العلماء إلى أنه من الأواس (بكسر الهمزة أو ضمها) بن الحَجْر بن الهَنْء بن الأزد بن الغوث شاعر جاهلي قحطاني من أهل اليمن[17] والشنفرى لقبه يعني غليظ الشفتيت، وهي من سمات الجنس الأسود ؛ لأن أمُّه كانت أمة حبشية، وقد ورث عنها سوادها، فتجري دماء حبشية في عروقه، لذلك عد من أغربة العرب. وهو من أحد الشعراء الصعاليك المخلوع من القبيلة وتبرأت منه واعتبرته خارج عن قوانينها ولجوئها، وكان صديقا حميما وزميلا مخلصا لتأبط شرا، وشاركا في كثير من الغزوات والغارات، قيل تلقى مهارة الصعلكة على يد تأبط شرا، وورثه تأبط شرا.

شعره:

يعتبر الشنفرى من أشعر الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، وأشهر قصيدته لامية العرب، مع أنه حصل شكوك حول نسبتها للشنفرى، فإن ما يعنينا في دراستنا ما تحويه القصيدة من صور فنية وإبداعية استطاع بها الشاعر أن يعبر عن فكرته ورؤيته للحياة، ومن ثم نكشف الأسباب الكامنة خلف وصول هذه القصيدة لما وصلت إليه من مكانة جعلتها تزاحم أقوى القصائد الجاهلية، حتَّى المستشرقين بادروا إلى دراستها وترجمتها، فهي تصور النسيج الجاهلي بكل ما فيه، وتتحدث عن حياة الصعاليك وروح البداوة فبلغت ثمانية وستين بيتاً على بحر الطويل، سميت القصيدة ب(لامية العرب) لأن قافيتها بنيت على حرف اللام، ويعتاد العرب على تسمية القصائد بحرف الروي(آخر حرف في القصيدة) ومثال ذلك(عينية سويد بن أبي كاهل) و(نونية بن زيدون)، وبالإضافة إلى ذلك أنها واحدة من أصدق القصائد التي تناولت حياة العرب الجاهلية، وشاعرها عربي سميت بهذا الاسم تميزا لها لأن هنالك عدة قصائد بنيت قافيتها على اللام مثل:

- لامية العجم- شاعرها من العجم- فارسي اسمه الطغرائي ومطلعها:

أصالةُ الرأي صانتْنِي عن الخَطَلِ وحِليةُ الفضلِ زانتني لدَى العَطَلِ

- لامية بن الوردي- الذي عاش في القرن الحادي عشر الميلادي ومطلعها:

اعتزلْ ذكرَ الأغاني والغزلْ وقلِ الفصلَ وجانبْ مَنْ هزلْ

لقد فاقت لامية العرب بشهرتها الأدبية واللغوية كثيرا مما نظمه الشعراء الجاهليون، فأغرت الكثيرين من الكُتاب لشرحها، ومن الخطاطين بكتابتها وتدوينها، وتجاوز الاعتناء بهما من علماء العرب إلى المستشرقين، فدرسوها، وترجموها إلى لغاتهم، وأول هذه اللغات التي نقلت إليها: الإنجليزية، والفرنسية، واليونانية، والإيطالية، والروسية، وغيرها.

ومن شُرَّاح اللامية:

1. شرح لامية العرب - لابن كوان محمد الفاسي .
2. المنتخب في شرح لامية العرب ليحيي بن حميد بن ظاهر الغساني المعروف بابن أبي طي الحلي
3. شرحها أبو العباس أحمد بن يحيى الشهير بثعلب.

17ديوان الشنفرى، ص 9-10.

4. وشرحها جار الله الزمخشري في كتاب أعجب العجب في شرح لامية العرب
5. شرح العكبري للامية العرب تحقيق د. محمد خير الحلواني.

علاوة على لامية العرب فلشنفرى قصيدة طويلة تحت عنوان (ألاَ أمُّ عمرٍو أجمعتْ) جاءت في ستة وثلاثين بيتاً، وهي تقص عزمه في طلب الثأر من قاتل أبيه، واشتراك رفاقه معه في قيام هذه المهمة، ولحظات المغامرة على أكمل الوجه وأدق التعبير كما قال الدكتور شوقي ضيف: " فإنه يقص علينا بعد غزله الطريف قصة غزوة له مع بعض رفاقه من الصعاليك، وهو لا يسردها في إجمال، بل يسرد تفاصيلها، وهو سرد تتمشى فيه الروح القصصية على نحو ما تمثل ذلك معلقة عمرو بن كلثوم."[18]

وإلى جانب ما ذكرناه سابقاً فمعظم شعره كشعر الصعاليك الأخرى جاء في مقطوعات صغيرة، ومضمونها تتمثل في وصف الشجاعة والفتوة والإغارة، حينما يصف بأن الشجاعة والفتوة سلاح الصعاليك، حيث داهم القوم في عقر دارهم، وضربهم بالسيف، ورشقهم بالنبل وثأر لقريبه عمرو بقتل يزيد وسعد قال:[19]

أَلا هَل أَتى عَنّا سُعادَ وَدونَها ... مَهامِهُ بيدٍ تَعتَلي بالصَعالِكِ
بِأَنّا صَبَحنا القَومَ في حُرَّ دارِهِم ... حِمامَ المَنايا بِالسُيوفِ البَواتِكِ
قَتَلنا بِعَمرو مِنهُمُ خَيرَ فارِسٍ ... يَزيدَ وَسَعداً وَابنَ عَوفٍ بِمالِكِ
ظَلَلنا نُفَرّي بِالسُيوفِ رُؤوسَهُم ... وَنَرشُقُهُم بِالنَبلِ بَينَ الدَكادِكِ

ترك الشنفرى كمية كبيرة من الشعر، لكن معظمه قد ضاع بسبب دون التدوين وكثرة التنقل في الصحراء، وما وصل إلينا من شعره قليل، وهذا القليل يدل على شاعرتيه الفذة وفحوله" فإذا كان عروة بن الورد قد تزعم جماعة الصعاليك، فإن الشنفرى هو زعيمهم شعرياً بدون مزاحم، ذلك أن الشنفرى لم يطلعنا فحسب على أسرار حياة الصعاليك وأهدافهم، وأساليب تصعلكهم، كما فعل غيره من الشعراء زملائه، بل لقد ارتفع في تصوير هذه الحياة إلى مستوى الخلق الفني الموهوب، حتى أضحت لاميته واحدة من أهم وثائق الفن والحياة المعبرة عن نموذج المعيشة الجاهلية"[20].

مناسبة القصيدة:

ذكر أبو الفرج الأصفهاني: أن الشنفرى كان من الأواس بن الحجر بن الهنو الأزد بن الغوث، أسرته بنو شبابة بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان، فلم يزل فيهم حتى أسرت بنو سلامان بن مفرج بن عوف بن ميدعان بن مالك بن الأزد رجلا من فهم أحد بنى شبابة؛ ففدته بنو شبابة بالشنفرى. فكان الشنفرى في بني سلامان بن مفرج لا تحسبه إلا أحدهم حتى نازعته بنت الرجل الذي كان في حجره، وكان السلامي اتخذه ولداً وأحسن إليه وأعطاه.

18تاريخ الأدب العربي، ص225.
19ديوان الشنفرى، ص57.
20موسوعة الشعر العربي، ص61.

فقال لها الشنفرى: اغسلي رأسي يا أُخيَّة- وهو لا يشك في أنها أخته- فأنكرت أن يكون أخاها ولطمته؛ فذهب مغاضباً، حتى أتى الذي اشتراه من فهم فقال له الشنفرى: اصدقنى من أنا؟ قال: أنت من الأواس بن الحجر. فقال: أما إني لن أدعكم حتى أقتل منكم مائة بما استبعدتموني. ثم أنه مازال يقتلهم حتى قتل منهم تسعة وتسعين رجلاً [21]، يقال: لما قُتِل الشنفرى وطُرِح رأسُه مرَّ به رجل منهم فضرب جمجمة الشنفرى بقدمه، فعُقِرت قدمُه فمات منها فتمت به المائة[22].

يبدو أن هذه القصة خف وزنها في الاقتناع بحجة غضب الشاعر على قومه، وانتقام منهم، لعل الأرجح ما ذكره بعض الرواة من أن رجلا من قومه قتل أباه، فتكشف الأمر له ثم صمم على الانتقام من قومه من أجل أخذ الثأر لأبيه، كما يصرِّح الشنفرى في تائيته بأنه جزى بني سلامان بما قدمت أيديهم، ويأسى ويتأسف أن يكونوا قومه ولا ينتفعوا به وأن يتربص بهم ويتربصوا به لما بينه وبينهم من ثارات وحسابات، فوضح أنه أخذ بثأره وشفى غليله وحقده:[23]

قَتَلْنَا قَتيلاً مُحْرِماً بِمُلَبِّدٍ ... جِمارَ مِنًى وَسطَ الحَجيجِ المُصَوَّتِ

جَزَينا سَلامانَ بْنَ مُفرِجَ قَرضَها ... بِمَا قَدَّمَتْ أيديهِمُ وَأزَلَّتِ

النَّص [24]

1- أقيموا بَنِي أمي صدورَ مَطِيَّكم ... فإني إلى قومٍ سواكم لأمْيَلُ

2- فقد حُمَّتِ الحَاجَاتُ واللّيْلُ مُقْمِرُ ... وشُدَّتْ لِطِيَّاتٍ مَطايَا وأرْحُلُ

3- وفي الأرض مَنْأى للكريمِ عن الأذَى ... وفيها لمن خاف القِلَى مُتَعَزَّلُ

21كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج21، ص128.

22المرجع السابق، ص133.

23ديوان الشنفرى، ص37.

24المرجع السابق، ص 55-65.

1- بنو الأم: الأشقاء أو غيرهم ما دامت تجمعهم الأم، واختار هذه الصلة لأنها أقرب الصلات إلى العاطفة والمودة -والمطي: ما يمتطى من الحيوان، والمقصود بها، هنا، الإبل-والمقصود بإقامة صدورها: التهيؤ للرحيل. يخاطب الشاعر قومه: انتبهوا يا قومي فإني راحل عنكم إلى قوم غيركم.

2- حمت: قدرت ودبرت- والطيات: جمع الطبية، وهي الحاجة-الأرحل : جمع الرحل، وهو ما يوضع على ظهر البعير. وقوله:" والليل مقمر " كناية عن تفكيره بالرحيل في هدوء، أو أنه أمر لا يراد إخفاؤه. ومعنى البيت: لقد هيأت نفسي للرحيل عنكم، فشدت رحلي ومطيتي.

3- المنأى : المكان البعيد- القلي: البغض والكراهية- والمتعزل: المكان لمن يعتزل الناس. والبيت فيه حكمة: ومعناه أن الكريم يستطيع أن يتجنب الذل، فيهاجر إلى مكان بعيد عمن ينتظر منهم الذل، كما أن اعتزال الناس أفضل من احتمال أذيتهم.

[4]- لَعَمْرُك ما في الأرض ضِـيقٌ على امْرِئٍ سَـرَى رَاغبـاً أو راهبـاً وهـو يـعـقِـلُ

[5]- ولـي دونـكـم أهْلُـونَ سِـيْـدٌ عَـمَـلّـسٌ وأرْقَـطُ زُهْـلُـولٌ وعَـرْفـاءُ جَـيْـأَلُ

[6]- هُمُ الأهْـلُ لا مُسـتَـودَعُ السِـرِّ ذَائـعٌ لـدَيْـهـم ولا الـجَـانِـى بـمـا جَـرَّ يُـخْـذَلُ

[7]- وكُـلُّ أبِـيٌّ بَـاسِـلٌ غـيـر أنّـنـى إذا عَـرَضَـتْ أولَـى الـطّـرائِـدِ أبْسَـلُ

[8]- وإن مُـدَّتِ الأيْـدِى إلـى الـزّادِ لـم أكُـنْ بـأعـجَـلـهـم إذْ أجْشَـعُ الـقَـوْم أعـجَـلُ

[9]- ومـا ذاك إلاّ بَسْـطـةٌ عـن تـفَـضُّـلٍ عـلـيـهـم وكـان الأفْـضَـلَ الـمُـتَـفـضَّـلُ

[10]- وإنّـى كفـانِـى فَـقْـدَ من لـيس جَـازِيـاً بِـحُسْـنـىَ ولا فـي قُـرْبِـهِ مُـتَـعَـلّـلُ

[11]- ثَـلاثَـةُ أصـحـابٍ: فـؤادٌ مُشَـيَّـعٌ وأبـيَـضُ إصـلـيـتٌ وصـفـراءُ عَـيـطَـلُ

[12]- هَـتُوفٌ من الـمَـلْسِ الـمُـتُـونِ يَـزيـنُـهـا رَصَـائِـعُ نِـيـطَـتْ إلـيـهـاَ ومِـحْـمَـلُ

4- لعمرك: قسم بالعمر- سرى: مشي في الليل- راغباً: صاحب رغبة-راهبة: صاحب رهبة. والبيت تأكيد للبيت السابق، ومعناه أن الأرض واسعة سواء لصاحب الحاجات والآمال إذا خرج لتحقيقها، أو للخائف إذا خرج طلبا للأمن مادام ذا عقل.

5- دونكم: غيركم- الأهلون : جمع أهل- السيد: الذئب- العملس: القوي السريع- الأرقط: النمر الذي في جلده سواد وبياض- زهلول: الأملس- العرفاء: الضبع الطويلة العرف- جيئل: الضبع، فقدم الشاعر الإسم(عرفاء) على الموصوف (جيأل). والمعنى: هؤلاء هم أهلي غيركم الذين سأرتحل إليهم فهم الذئب السريع والنمر الأرقط والضبع ذات العرف.

6- ذائع: منتشر- جاني : ارتكب الجريمة- جرَّ: جنى جناية-وخذله: تخلى عن نصرته، بمعنى هم أهل لا ينتشرون السر ولا يخذلون الجاني بل يحامون عنه.

7- الأبي: الذي يأبى الذل ويرفض الضيم- الباسل: الشجاع البطل-الطرائد: جمع طريدة، وهي الفريسة التي تطارد. المعنى: إنهم شجعان يأبون الظلم والهوان ولكني أشجع منهم جميعا لأني إذا طردت خيل قوم فلن يستطيع أهلها تخليصها مني.

8- أعجل: أسرع- الجشع: النهم وشدة الحرص على الطعام والإسراع إليه، وإذا جلس القوم إلى الطعام لم أكن متعجلا فأسارع بمد يدي إليه؛ لأن التعجل إلى الطعام دليل على الجشع وهو بغيض إلَيَّ.

9- بسطة: سعة وزيادة-التفضل: الإحسان، أو هو ادعاء الفضل على الغير- الأفضل: الذي يفضل غيره ويتميز عليه-المتفضل: المحسن. بمعنى أن عدم تعجلي بمد يد للطعام دليل على اني صاحب زيادة في الفضل على غيري وأفضل القوم هو الأكثر تفضلا على غيره.

10- فقد مفعول ثان لكفاني، الجازي بالحسنى: المكافئ بالإحسان، والحسنى أفعل تفضيل للمؤنث- متعلل: كل ما يتلهى به الإنسان. المعني: إن لدي ما يكون عوضا لي عن فراق قومي الذين لا يردون الإحسان بإحسان ولا فائدة من قربهم إذ ليس فيهم من يتعلل به.

11- مشيع: شجاع- الأبيض: السيف- والأصلت: الصقيل- والصفراء: القوس التي صنعت من النبع-والعيطل: القوس الطويلة العنق. المعنى: إن الذي يكون عوضا لي عن أهلي ثلاثة أشياء وهي فؤادي الشجاع وسيفي المصقول وقوسي الطويلة.

12- هتوف: لها صوت عند انطلاق السهم- الملس: جمع ملساء: قوس ليس في عودها عقد ولا خشونة. المتون: جمع متن وهو الظهر-

13- إذا زَلَّ عنها السَّهمُ حَنَّتْ كأنّها مُرزّأةٌ عَجْلَى تَرِنُّ وتُعْوِلُ

14- وَلَسْتَ بمِهيافٍ يُعَشِّي سَوامَه امْرِئٍ مُجَدَّعَةً سُقْبَانُها وَهْيَ بُهَّلُ

15- ولا جُبَّاءٍ أكهَى مُرِبٍّ بِعِرْسِه يُطَالِعُها في شَأنِه كَيْفَ يَفْعَلُ

16- ولا خَرِقٍ هَيْقٍ كأنَّ فُؤادَه يَظَلُّ به المُكّاءُ يَعْلُو وَيَسْفُلُ

17- ولا خالفٍ دَارِيَّةٍ مُتَغَزِّلٍ يَرُوحُ وَيَغْدُو دَاهِناً يَتَكَحَّلُ

18- وَلَسْتُ بِعَلٍّ شَرُّه دُوْن خَيْرِه أَلَفَّ إذا ما رُعْتُه اهْتَاجَ أعْزَلُ

رصائع: جمع رصيعة ما تزين به القوس من سيور مضفورة أو خرز يعلقونها عليها مخافة العين- نيطت: علقت من الفعل ناط الشئ بغير إذا علقه عليه- محمل: سير تعلق به القوس أو السيف في كتف صاحبه، المعنى : يصف قوسه التي ذكرها في البيت السابق بأنها ذات صوت، عندما ينطلق منها السهم، ملساء لا عقد و عربها، علقت عليها أشياء تزينها بالإضافة إلى سيرها التي تحمل به.

13- زل: انطلق -حنت: سمع لها صوت كأنه حنين الناقة لولدها- المرزأة: من الرزء وهو المصيبة والمرزاة التي كثرت عليها المصائب تبكي وتنوح لفقد ولدها- العجلي: الحزينة لفقد والدها الصغير. تعول: من العويل وهو البكاء بصوت. والمعنى: تلك القوس عندما ينطلق منها السهم فإنها تصدر صوتا كصوت امرأة تكاثرت عليها المصائب تبكي وتنوح لفقد ولدها.

14- المهياف: الذي يبعد بإبله في طلب المرعى فيعطشها، أو هو السريع العطش أو السيء التدبير- السوام: الماشية الراعية في الفلوات إذا خلى سبيلها. وعشى الإبل: إذا رعاها ليلًا لعدم إدراك ذلك نهارًا لأنه غير خبير بالمرعى- المجدعة: السيئة الغذاء- السقبان: جمع سقب وهو ولد الناقة الصغير حين يولد- بُهَّلُ: جمع باهل وباهلة: وهي الناقة التي تترك بدون راع أو تترك بدون صرار في ضرعها لعدم وجود اللبن، والصرار يوضع لمنع ولدها من رضعتها. المعني: لست غبيا كمن ينهب بإبله طالبة المرعى على غير علم بأماكن المراعي يتعبها ويعطشها ليلا وتكون صغارها سيئة الغذاء مع أن أمهاتها بهل غيرمصرورة.

15-جبأ: الجبان- الأكهى: الضعيف السيء الخلق، والأبخر الذي لا خير فيه- مرب: اسم فاعل من أرب بالمكان، إذا قام به والمراد به الملازم لعرسه. ولست كذلك الرجل الجبان الضعيف الذي لا رأي له والذي يكثر الجلوس في مجالس النساء ولا حظ له في مجالس الرجل، فهو يسلم أمره كله لزوجه يستشيرها كل شيء وأمر حتى تملي عليه ما يجب أن يفعله.

16- خرق: الجبان الذي يندهش مما يرى فتجحظ عيناه-هيق: ذكر النعام يضرب به المثل في الجبن-المكاء: طائر يضرب به المثل في شدة الخوف لا يستقر على الأرض من جبنه ويسمى الصافر. المعنى: ولست بالجبان كذكر النعام أو كالذي يخفق فؤاده ويضطرب من شدة الخوف حتى يبيدو كأن فؤاده يحمله طائر المكاء فلا يستقر به حينا يعلوبه وحينا يسفل.

17- الخالف: الذي لا خير فيه يقعد في الدار بعد رحيل القوم لا يفارقها -الدارية: المقيم في دارة ولا يجالس الرجال، متغزل: يتغزل في النساء -يروح: يمسى من الرواح و هو من زوال الشمس إلى الليل- يغدو: يصبح من الغدو وهو من طلوع الفجر إلى الزوال-داهنا يمسح وجهه بالدهن- يتكحل: يضع الكحل على عينيه طلبا لجمالهما.المعنى: ولم أكن كذلك الرجل الفاسد الذي يلزم داره يغازل النساء و لا يخرج لمجالسة الرجال يقضي ليله ونهاره يتزين ويتجمل بالدهن والكحول.

18- العل: من كبير السن صغير الجسم وهو أيضا من لا خير فيه- ألفه: من ليس برجل حرب ولا برجل ضيوف ومن يلتف بثوبه وينام

19- وَلَسْتُ بِمِحْيارِ الظَّلاَمِ إذا انْتَحَتْ هُدَى الهَوْجَلِ العِسِّيفِ يَهْمَاءُ هَوْجَلُ

20- إذَا الأَمْعَزُ الصَوَّانُ لاَقَى مَنَاسِمِى تَـطَـايَـرَ مـنـه قَـادِحٌ وَمُـفَـلَّـلُ

21- أَدِيمُ مِـطَـالَ الـجُـوعِ حَـتَّـى أُمِـيـتُـه وَأَضْـرِبُ عنـه الـذِّكْرَ صَـفْحـاً فَـأَذْهَـلُ

22- وَأَسْـتَـفُّ تُـرْبَ الأَرْضِ كَـيْـلاَ يَـرَى عَـلَـيَّ مـن الـطَـوْلِ امْـرُءٌ مُـتَـطَـوِّلُ

23- وَلَوْلاَ اجْتِنَابُ الذَّامِ لَمْ يُلْفَ مَشْرَبٌ يُـعَـاشُ بـه إلاّ لَـدَيَّ وَمَـأْكَـلُ

24- وَلَـكِـنَّ نَـفْسًـا مُـرَّةٌ لاَتُـقِـيـمُ بِـى عَـلَـى الـذَّامِ إلّا رَيْـثَـمَـا أَتَـحَـوَّلُ

25- وَأَطْوِى عَلَى الخَمْصِ الحَوَايَا كما انْـطَـوَتْ خُـيُـوطَـةُ مَـارِىٍّ تُـغَـارُ وَتُـفْـتَـلُ

ومن يتلعثم في كلامه- رعته: أخفته بفتح الراء الخوف -اهتاج: فزع واضطرب- أعزل من لا سلاح له. المعنى: لم أكن رجلا ضعيفا لكبر سنه، لاخير فيه يتلعثم في كلامه شره قبل خيره إذ هو جبان وبخيل إذا واجهته الشدائد فزع واضطرب ولم يستعد لملاقاتها لأنه لا سلاح له.

19- المحيار: المتحير الضال الذي لا يهتدي لوجهته- انتحت: اعترضت- والهدى: الهداية- الهوجل: الرجل الطويل الذي فيه تسرع وحمق- العسيف: الضال عن الطريق- اليهماء: الفلاة التي لا يهتدي فيها لطريق، هوجل: الثانية صفة للفلاه. أي متفرة لا معالم فيها للاهتداء. المعنى: ولست برجل بليد يتحير في الصحراء عند شدة الظلام، إذا ماتحير غيره من الرجال بل اني خبير بالصحراء ليلا عارف المسالكها.

20- الأمعز: المكان الصلب الكثير الحصى، الصوان: صفة للأمعز والمراد الحجارة الشديدة الملساء- المناسم: جمع منسم وهو خف البعير والمراد أقدامي، شبه قدميه بأخفاف الإبل، القادح: الذي تخرج النار من قدحه- المفلل: المتكسر من الحجارة. المعنى عندما أعدو على الأرض الصلبة كثيرة الحصى - يتطاير منها الحصى - فيرتطم ببعضه فيتطاير الشرر من تلك الارتطام ويتكسر بعض ذلك الحصى.

21- أديم: من المداومة وهي الاستمرار- المطال: التسويف والتأخير- وأضرب عنه الذكر صفحا: أعرض عنه وأتركه- أذهل: أنساه وأغفل عنه.المعنى: إذا ما أحسست بجوع فإني لا استجيب له بالأكل، بل أدافعه عني، وانصرف عنه حتى يذهب عني.

22- استف: أتناول بشفتي- الطول: التطاول، والامتنان بالمعروف-متطول: من يمن عليك بما قدمه اليك من معروف. المعنى: عندما يشتد بي الجوع فإنني استف التراب واكتفي به حتى لا ألجأ إلى سؤال الناس فيمتن علي أحدهم يوما.

23- اجتاب: التباعد عن الشيئ- الذأم والذم: العيب الذي يذم به-يلف: يوجد. ولولا إنني رجل كريم اترفع عن العيوب، لحصلت على ما أريده من طيب المأكل والمشربه ولكني تركته مخافة أن ينالني الذم.

24- المرة: العصة الأبية إذ يروى ولكن نفسا مرة والنفس الحرة: العزيزة الأبية- الريث: الوقت اليسير- وريثما أتحول: أي إلا قدر تحولي. المعنى: إن نفسي الأبية التي تأبي الدنايا والذم لا ترضى لي أن أقيم على الذل إلا بقدر ما أعد نفسي للرحيل عنه بسرعة.

25- الخمص: بفتح الخاء الجوع-والخمص بضم الخاء: ضمور البطن- الحوايا: جمع حوية، وهي الأمعاء-الخيوطة: خيوط النسيج التي يخاط بها، والتاء تدل على كثرة الجميع- ماري: اسم لفاتل الخيوط، أو اسم رجل مشهور بصناعة الحبال وفتلها، ويقال أغار الفتل أي أحكم فتله. المعنى: أطوي أمعائي على الجوع فتصبح لخلوها من الطعام يابسة ينطوي بعضها على بعض كأنها حبال أتقن فتلها.

26- وَأغْدُو عَلَى القُوتِ الزَهِيدِ كما غَدَا أَزَلُ تَهَادَاهُ التَنَائِفُ أَطْحَلُ

27- غَدَا طَاوِياً يُعَارِضُ الرِّيحَ هَافِياً يَخُوتُ بِأَذْنَابِ الشِّعَابِ وَيَعْسِلُ

28- فَلَمَّا لَوَاهُ القُوتُ من حَيْثُ أَمَّهُ دَعَا فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ نُحَّلُ

29- مُهَلْهَلَةٌ شِيبُ الوُجُوهِ كأنّها قِدَاحٌ بِكَفَّيْ يَاسِرٍ تَتَقَلْقَلُ

30- أَوِ الخَشْرَمُ المَبْعُوثُ حَثْحَثَ دَبْرُهُ مَحَابِيضُ أَرْدَاهُنَّ سَامٍ مُعَسِّلُ

31- مُهَرَّتَةٌ فُوهٌ كأنَّ شُدُوقَهَا شُقُوقُ العِصِيِّ كَالِحَاتٌ وَبُسَّلُ

32- فَضَجَّ وَضَجَّتْ بِالبَرَاحِ كأنّها وَإِيَّاهُ نُوحٌ فَوقَ عَلْيَاءَ ثُكَّلُ

26- القوت الزهيد: الطعام القليل-الأزل: صفة للذئب النحيل الخفيف السريع لقلة لحم عجزه ووركيه-تهاداه: تتناقله وتتداوله-التنائف، جمع تنوفة وهي المفازة والأرض القفار- أطحل: لونه مثل لون الطحال رمادي اللون - أغبر. المعني: إنني لأكتفي بالطعام القليل وأصبر عليه فأكون كذئب نحيف أتعبه السير وقطع الصحاري بحثا عن القوت لونه كلون الطحال.

27- طاويا: جائع، كأن أمعاءه انطوت من شدة الجوع- يعارض الريح: يستقبلها بوجهه ليشتم رائحة فريسته-هافيا: يجري يمينا وشمالا بحثا عن القوت- يخوت: يهجم على فريسته- الشعاب: مفردها شعب الممر بين الجبال أو مسايل الماء بين الجبال، المعني: الذئب الجائع يستقبل الريح بوجهه و يجري جريا سريعا ومتابعا بين ممرات الجبال مرة يمينا ومرة شمالا بحثا عن فريسة لتخلص من الجوع.

28- لواه: دفعه ومطله وامتنع عليه- أَمَّه: قصده- النظائر: الأشباه- نحل جمع ناحل، وهو الهزيل الضامر. إن هذا الذئب بعد أن تعب من البحث عن الطعام ولم يجده في الأماكن التي توقع وجوده فيها عوى بصوت عال فأجابته نظائره تشبهه في الهزال فعوت مثله.

29- مهلهلة: قليلة اللحم هزالا، وهي وصف لنظائر في البيت السابق- وشيب، جمع أشيب، وشيب الوجوه شاحبة مصفرة- القداح: جمع قدح بكسر القاف وهي السهم قبل بريه وتركيب نصله أي قبل أن يراش- الياسر: المقامر وهو لاعب الميسر-تتقلق: تتحرك في اضطراب. المعني: تلك الذئاب نحيفة يعلو وجوهها الشيب كأنها في نحافتها واضطرابها في مشيتها السهام التي يلعب بها الميسر، عندما يحركها لاعب الميسر بكفه فيسمع لها صوته.

30- الخشرم: النحل- المبعوث: المسرع في السير- حثحثت: هيجته- دبره: الدبر جماعة النحل- محابيض: مفردها محبض أو محباض عود يستعمل لطرد النحل عن الخلية حتى يجمع عسله- أرداهن: طردهن- مسام: من يسمو ويعلو الجبال أو الشجر لجمع العسل- معسل: مشتار العسل أي جامعه، المعنى: أسرعت تلك الذئاب الجائعة إلى ذلك الذئب فسمع لعدوها دويا مثل دوي النحل التي طردها جامع العسل عن خلاياها.

31- مهرتة: مشقوقة الفم شقًا واسعًا- فوه: جمع أفوه للمذكر وللمؤنث فوهاء مفتوح الفم-شدوق: جمع شدق وهو جانب الفم -كالحات: عابسات الوجوه- بسل: جمع باسل وهو الكريه المنظر. المعنى: تلك الذئاب واسعة الأشداق والأفواه كأن أفواهها مشقوقة بعصى ما جعلها تبدو قبيحة المنظر.

32- ضج وضجت: صاح الذئب وصاحت معه الذئاب فأحدثت ضوضاء-البراح: الأرض الواسعة لا نبت فيها- كأنها: المقصود بها الذئاب- نوح: جمع نائحة وهن النساء يجتمعن للحزن- ثكل: جمع ثكلى وهي المرأة التي فقدت ولدها. المعنى: استمرت الذئاب تعوي

33- وَأغْضَى وَأغْضَتْ وَاتّسَى وَاتّسَتْ به مَـرَامِـيـلُ عَـزّاهَـا وَعَـزّتْـه مُـرْمِـلُ

34- شَكَا وَشَكَتْ ثُمَ ارْعَوَى بَعْدُ وَارْعَوَتْ وَلَلْصَّـبْرِ إن لَمْ يَنْفَعِ الشَّـكْوُ أجْمَـلُ

35- وَفَـاءَ وَفَـاءَتْ بَـادِرَاتٍ وَكُـلُّـهَّـا عَـلَـى نَـكَـظٍ مِـمَّـا يُـكَـاتِـمُ مُـجْـمِـلُ

36- وَتَشْـرَبُ أسْـآرِى الـقَـطَـا الـكُـدْرُ سَـرَتْ قَرَبـاً أحْنَـاؤُهـا تَتَصَـلْصَـلُ

37- هَمَمْتُ وَهَمَّتْ وَابْتَدَرْنَا وَأسْدَلَتْ وَشَـمَّـرَ مِـنِّـى فَـارِطٌ مُـتَـمَـهِّـلُ

38- فَوَلَيْـتُ عَـنْـهـا وَهِـى تَـكْـبُـو لِـعَـقْـرِهِ يُـبَـاشِـرُهُ مِـنِـهَـا ذُقُـونٌ وَحَـوْصَـلُ

39- كـأنَّ وَغَـاهَـا حَـجْـرَتَـيْـه وَحَـوْلَـهُ أضَـامِـيـمُ مِـنْ سَـفْـرِ الـقَـبَـائِـلُ نُـزّلُ

فملأت الفضاء وأحدثت ضجيجا كأنها نساء يبكين بصوت عال على ميت.

33- أغضى على الشيء: سكت وصبر، والأغضاء تقريب الجفون بعضها من بعضها لخفض البصر والمراد هنا أن الذئب كف عن العواء، وكفت معه الذئاب كذلك- اتسى واتست بمعنى امتثل واقتدى أي أن كلًا منهما تأسى بالآخر واقتدى به-مراميل: جمع مرملة وهي التي نفد زادها- غزاها: صبرها. المعنى: أن الذئب والذئاب وجدا حالهما متفقين حيث جمعهما ألم الجوع وكآبة اليأس، ولم يفدهما العواء والنواح شيئا، فأخذا كلاهما يعزى الآخر ويتأسى بحاله في التجلد على الجوع واليأس.

34- شكا وشكت: بمعنى تشكي الذئب لجوعه فجاوبته رفاقه-أرعوى: كف ورجع عما هو فيه. المعنى: لقد شكا الذئب إلى الذئاب حاله وما يعانيه من الجوع، كما شكت إليه هي كذلك، ولما لم تنفع الشكوى رجع كل منها إلى الصبر على الجوع، فإن الصبر أجمل من إظهار الجزع.

35- فاء: رجع وثاب إلى رشده-بادرات: مسرعات-نكظ: شدة الجوع -يكاتم: يخفي ما في نفسه-مجمل: متصبر. المعنى: رجع الذئب والذئاب مسرعات حيث جاءت صابرة على شدة ما تعانيه من الجوع الذي تكتمه.

36- الأسآر: جمع سؤر وهو بقية الشراب، القطا: نوع من الطير مشهور بسرعته-الكدر: ما كان في لونها غبرة مع نقطة في الظهر- سرت: سارت ليللا- قرب: السير إلى الماء وبينك وبينه مسير ليلة واحدة-أحناء: جمع حنو وهو الجانب- تتصلصل: يصدر منها صوت معين فيه صلصلة هو صوت العطش. المعنى: انطلقت مع القطا من مكان بعيد إلى مورد الماء، فسبقتها إليه وشبرت فانصرفت ثم تأتي بعدي وهي ظامئة تصدر أحشاءها صوتا من العطش فلا تجد إلا باقية شربي.

37- هممت وهمت: العزم -ابتدرنا: أسرعنا- واسدلت: أرخت أجنحتها لتعبها - شمر: جد في السير- فارط: متقدم – متمهل: يسير على مهل، المعنى: استعد كلانا أنا والقطا للسباق إلى الماء، فتسابقنا إليه مسرعين، بينما هبط القطا و أرخى أجنحته إلى أسفل من تعب وأنا في قمة نشاطي فأسبقه إلى الماء طالما كنت متمهلا في عدوي.

38- تكبو: تتساقط من الضعف والإعياء طوال الليل- والعَقر: مكان الساقي من الحوض يكون فيه ما يتساقط من الماء عند أخذه-يباشره: يلامسه، ذقون: جمع ذقن، وحوصل: جمع حوصلة وهي معدة الطائر أسفل رقبته. المعنى: إني سبقت القطا بزمن غير قصير حتى أني شربت وانصرفت قبل وصول القطا الذي جا مجهدا يتساقط حول الحوض ملتمسا الماء بذقونه وحواصله.

39- وغاها: أصواتها - وحجرتاه: جانباه، والضمير في حجرتيه يعود على الماء- أضاميم: جماعة -السَفْر: جماعة السفر. المعنى: عندما

40- تَوَافَيْنَ مِنْ شَتّى إليه فَضَمَّها كَمَا ضَمَّ أَزْوَادَ الْأَصَارِيمِ مَنْهَلُ

41- فَعَبَّتْ غِشَاشًا ثُمَّ مَرَّتْ كأنَّها مَعَ الصُّبْحِ رَكْبٌ مِنْ أَحَاظَةَ مُجْفِلُ

42- وآلِفُ وَجْهَ الأَرْضِ عند افْتِرَاشِهَا بِأَهْدَأَ تُنْبِيهُ سَنَاسِنُ قَحَّلُ

43- وَأَعْدِلُ مَنْحُوضًا كأنَّ فُصُوصَهُ كِعَابٌ دَحَاهَا لاَعِبٌ فَهِيَ مُثَّلُ

44- فإنْ تَبْتَئِسْ بِالشَّنْفَرَى أُمُّ قَسْطَلٍ لَمَا اغْتَبَطَتْ بِالشَّنْفَرَى قَبْلُ أَطْوَلُ

45- طَرِيدُ جِنَايَاتٍ تَيَاسَرْنَ لَحْمَهُ عَقِيرَتُهُ لِأَيِّهَا حُمَّ أَوَّلُ

46- تَنَامُ إِذَا مَا نَامَ يَقْظَى عُيُونُها حِثَاثًا إلى مَكْرُوهِهِ تَتَغَلْغَلُ

نزلت القطا عند الماء ارتفعت أصواتها كأنها أصوات جماعة السفر نزلت عند الماء.

40- توافين: توافدن وأقلبن أي جماعة القطا- شتى: أي من وجهات متفرقة- ضمها: جمعها-الأذواد: وهو ما بين الثلاث إلى العشر من الإبل- الأصاريم: جمع أصرم، وهي القطعة من الإبل نحو الثلاثين- المنهل: مورد الماء الذي ينهل منه ترده الإبل في المراعي. المعنى: إن أسراب القطا حول الماء تشبه أعدادا كثيرة من الإبل تتزاحم الماء.

41- عبت: شرب الماء بدون مص- غشاشا: سريعا- ركب: جماعة مسافرة- أحاظة: قبيلة يمنية- مجفل: مسرع، المعنى: شربت القطا الماء شربا سريعا ثم انصرفت عن المورد عند الصبح كأنها في سرعتها وتعجلها قبيلة أحاظة اليمنية المشهورة بالسرعة.

42- آلف: من الإلف وهو التعود-والأهدأ: الشديد الثبوت مشتق من الهدوء-تنبيه: ترفعه وتبعده- السناسن: مفردها سنسن وهي ما يظهر من فقار الظهر أي العمود الفقري- قحل: جمع قاحل وهو اليابس. المعنى: لقد اعتد النوم على وجه الأرض الصلبة مفترشا ظهري الذي ظهرت عظامه من الهزال حتى أن هذه العظام هي التي تستقبل الأرض فيرتفع الجسم عنها.

43- أعدل: أتوسد- المنحوض: القليل اللحم- الفصوص: مفاصل العظام-كعاب: قطع من أنابيب القصب كان يعد للَّعب به- دحاها: بسطها- مثل: بارزة. المعنى: عندما أنام أتوسد ذراعا نحيفا كأنه قطع صلبة جافة من حديد يتركب بعضها فوق بعض.

44- تبتئس: تحزن، - القسطل: الغبار- وأم قسطل: الحرب لأنها تثير الغبار-اغتبطت: فرحت. والمعنى: إذا حزنت الحرب اليوم لفراق الشنفرى إياها فطالما فرحت قبل ذلك بمزاولته وإثارته إياها.

45- الطريد: المطرود -والجنايات: الجريمة، طريد الجنايات: الذي ارتكب من الجرائم يجب طرده-تياسرن لحمه: اقتسمن لحمه كما يقتسم الجزور في لعب الميسر- العقيرة: جثة المقتول انسانًا أو حيوانًا أو نفسه-حم: نزل وتحقق، ومنه حم القضاء إذا نزل بصاحبه. المعنى: أنه مطارد ومطالب بجنايات كثيرة جناها وأصحاب الجنايات يتنافسون في الوصول إليه للانتقام منه، فهو مقضى عليه من الذي يتمكن منه أولا.

46- تنام إذا نام: أي: تنام الجنايات إذا هو نام، لكنها في نومها يقظى عيونها، حثاثًا: سراعًا إلى مكروهة، تتغلغل: تتعمق وتستقصي البحث عنه. المعنى: إن أعدائي من شدة حرصهم على قتلي فإنهم ينامون وعيونهم يقظى، يسرعون إلى كل ما يؤذيني وقد تغلغل حبهم لقتلي في نفوسهم.

47- وَإِلْـفُ هُـمُـومٍ مَـا تَـزَالُ تَـعُـودُه عِـيَـادًا كَـحُـمَّـى الـرِّبْـعِ أَوْ هِـيَ أَثْـقَـلُ

48- إِذَا وَرَدَتْ أَصْـــدَرْتُـهـا ثُـمَّ إِنَّـهـا تَـثُـوبُ فَـتَـأَتَّـى مِـنْ تُـحَـيْـتٍ وَمِـنْ عَـلُ

49- فـإِمَّـا تَرَيْنِي كـإِبْنَـةِ الرَّمْـلِ ضَـــاحِيًا عَـلَـى رِقَّـةٍ أَحْـفَـى وَلاَ أَتَـنَـعَّـلُ

50- فَـإِنِـي لَمَولَى الصَّـــبْرِ أَجْتَـابُ بَزَّهُ عَلَى مِثْـلِ قَلْـبِ السَّـــمْعِ وَالْحَزْمَ أَنْعَـلُ

51- وَأُعْـدِمُ أَحْـيَـانًـا وَأَغْـنَـى وَإِنَّـمـا يَـنَـالُ الـغِـنَـى ذُو الـبُـعْـدَةِ الـمُـتَـبَـذِّلُ

52- فَـلاَ جَـزِعٌ مِـنْ خَـلَّـةٍ مُـتَـكَشِّـــفٌ وَلاَمَـرِحٌ تَـحْـتَ الـغِـنَـى أَتَـخَـيَّـلُ

53- وَلَاتَـزْدَهِـي الأَجْـهَـالُ حِـلْـمِـي وَلَا أُرَى سَـــؤُولاً بِـأَعْـقَـابِ الأَقَـاوِيـلِ أَنْـمِـلُ

54- وَلَـيْـلَـةِ نَـحْـسٍ يَـصْـطَـلِي القَوسَ رَبُّـهَـا وَأَقْـطَـعُـهُ الـلَّاتِـي بِـهَـا يَـتَـنَـبَّـلُ

47- الإلف: الملازم- حمى الربع: هي الحمى التي تأتي الإنسان يوما وتغيب عنه يومين لتعود إليه في اليوم الرابع، المعنى: لقد آلفت الهموم ولازمتني فهي لاتغيب عني لحظة حتى تعود إلى أشد من كانت عليه كما تعود حمى الربع على المريض.

48- إذا وردت: يعني إذا حضرت الهموم صرفتها وطردتها -تثوب: ترجع- تحيت تصغير تحت-من عل: من أعلى، المعنى: إني في صراع دائم مع الهموم كلما طردتها عني فتعود إلي مرة أخرى أشد مما كانت عليه فتحيط بي من تحتي ومن فوقي.

49- ابنة الرمل: الحية أو البقرة الوحشية-ضاحيًا: بارزًا، للحر وللبرد، والمراد هنا التعرض للحر- الرقة: سوء العيش ورقة الحال، يعني الفقر- أحفى: من الحفاء وهو المشي بلا خُفٍّ ولا نعل، المعني:يتخيل امرأة يخاطبها مخبرا عن حاله بأنه على سوء حال لا يملك ما يحجبه من البرد والحر، ويمشي بدون خف ونعل كأنه حية تتحرك بجلدها المكشوف.

50- مولي الصبر: وليه وصاحبه، اجتاب: اكتسى وألبس- البز: الثياب، أو نوع منه- السمع بكسر السين المشددة ولد الذئب من الضبع وهو أشجع الذئاب- الحزم: تصرف بقوة وثقة بنفسه- أنعل: اتخذه نعلا، المعنى: إني صبور متمكن من تحكم نفسي عند الشدائد، ولي قلب شجاع كقلب ولد الذئب، وأحتذي الحزم في قدميي نعلا.

51- أعدم: افتقر- البعدة: الهمة العالية، الطموح- المتبذل: يبذل نفسه في الأسفار طلبا للغنى، المعنى: إني أتقلب بين الغنى والفقر، ولم أضع همتي في جمع المال، فإنه لا يبلغ ذلك إلا من يقصر نفسه على هذه الغاية.

52- جزع: بصيغة المبالغة الذي لا يقدر على الصبر عند المكروه- الخلة: بفتح الخاء الفقر والحاجة- متكشف: من يظهر فقره للناس- مرح: شدة الفرح- التخيل: من الخيلاء وهي التكبر والإعجاب بالنفس، المعنى: أن الفقر والغني كلاهما ليس له تأثير كبير في نفسي، فلا الفقر يجعلني أبتئس وأظهر ضعفي ولا الغني يجعلني أفرح وأختال.

53- تزدهي: تستخف- الأجهال: السفهاء- الحلم ضبط النفس عند الغضب- السؤول: الملح في سؤال الناس- أعقاب الأقاويل: أواخر الأحاديث-أُنْمِل: أنقل الحديث بين الناس على جهة النميمة. المعنى: إني حليم لا يستخفه الجهلاء فيدفعوني إلى الخفة والطيش- وإني لا أسأل الناس مستجديا ولست ممن يتسمع الحديث ليسعى به بين الناس ناقلا للنميمة.

54- النحس: شدة البرد- إصطلاء النار: الاستدفاء بها- ويصطلي القوس: يوقدها ليستفء بها من شدة البرد- ربها: صاحبها- الأقطع: جمع قطع بكسر القاف وهو نصل عريض السهم- يتنبل: يرتمي بها، المعنى: رب ليلة شديدة البرد تبلغ من بردها أن يحطم صاحب القوس قوسه

55- دَعَسْتُ عَلَى غَطّشٍ وَبَغْشٍ وَصُحْبَتِى سُـــعَـــارٌ وَإِرْزِيـــزٌ وَوَجْـــرٌ وَأَفْـكَـلُ

56- فَـأَيَّـمْـتُ نِسْـــوَانًـا وَأَيْـتَـمْـتُ إِلْـدَةً وَعُـدْتُ كَـمَـا أَبْـدَأْتُ وَاللَّـيـلُ أَلْـيَـلُ

57- وَأَصْـــبَحَ عَنِّى بِـالغُمَيصَـــاءِ جَـالِسًـــا فَـرِيـقَـانِ: مَسْـــؤُولٌ، وآخَـرُ يَسْـــأَلُ

58- فقـالُوا: لـقَـدْ هَـرَّتْ بِـلَـيـلٍ كِـلاَبُـنَـا فـقُـلـنَـا: أَذِئْـبٌ عَـسَّ أَمْ عَـسَّ فَـرْعُـلُ

59- فَـلَـمْ تَـكُ إلاّ نَـبْـأَةٌ ثُـمَّ هَـوَّمَـتْ فَـقُـلـنَـا قَـطَـاةٌ رِيـعَ أَمْ رِيـعَ أَجْـدَلُ

60- فـإِنْ يَـكُ مِـنْ جِـنٍّ لأَبْـرَحُ طَـارِقًـا وَإِنْ يَـكُ إِنْسًـــا مَـا كَـهَـا الإِنْسُ تَفْعَـلُ

61- وَيَـومٍ مِـنَ الشِّـــعْـرَى يَـذُوبُ لُـوَابُـه أَفَـاعِـيـهِ فـى رَمَضَـــائِـه تَـتَـمَـلْـمَـلُ

ونصال سهامه التي يرمي بها ليستدفئ به.

55- دعست- هجمت- الغَطْش: ظلام حالك-البغش: المطر الخفيف- السُعار: الجوع وأصله حر النار، فاستعير لشدة الجوع-الأرزيز: البرد الشديد- الوجر: الخوف-الأفكل: الرعدة والارتعاش، دعست جواب رب المقدرة، والمعني : في تلك الليلة هجمت على أعدائي وقد كانت ليلة مظلمة شديدة البرد وكنت أعاني فيها بالجوع والخوف وارتعاش جسمي.

56- أيمت: الأيم: من لا زوج لها من النساء، وكذا من لا زوج له من الرجال، وأيمت المرأة جعلتها تفقد زوجها- إلدة: أولاد- أليل: شديد الظلام- ابدأت: بدأت، المعني: لقد هجمت على أعدائي وقتلت منهم رجالا فتركت النساء بلا أزواج والأولاد بلا آباء وأحقق كل ذلك في وقت وجيز حتى إني أعود مازال الظلام دامسا.

57- الغميصاء: مكان بنجد-الجلس: بفتح الجيم اسم لبلاد نجد، وجالسا ليس المراد بها القعود وإنما المراد إتيان نجد ودخولها كما يقال أتهم: أتى تهامة، المعنى: عندما أصبح الصبح على أعدائي الذين هجمت عليهم بالغميصاء انقسموا إلى فريقين كل منهما يسأل الآخر عما حدث مندهشا.

58- هرت الكلاب: نبحت والهرير أضعف من النباح- والعسس: حراس الأمن بالليل- والفرعل: بضم الفاء والعين ولد الضبع، المعنى: إن الذين أغار عليهم أصبحوا يصفون هذه الغارة متعجبين يقول بعضهم لبعض: إننا لم نسمع إلا صوتا ضعيفا من الكلاب فحسينا أن الكلاب أحست بذئب أو فرعل فأصدرت هذا الصوت.

59- النبأة: الصوت الضعيف- هومت: نامت- القطاة: نوع من الطي- ريع: أفزع من الروع وهو الخوف- الأجدل: الصقر. المعنى: قال القوم لقد أحست الكلاب بصوت خفي فنبحت وربما كان ذلك الصوت لقطاة أفزعت- أو لصقر أخيف.

60- يك: يكون حذفت منها الواو لالتقاء الساكنين ثم حذفت النون تخفيفا- أبرح: البرح الشدة- أبرح اسم تفضيل أي أشد ولام جواب لقسم محذوف- طارق: من يجيئ ليلا- ماكها: ليس مثل- ما كهذا، المعنى: قال القوم إن كان هذا الإغارة من فعل الجن فإنه لأشد ما يفعله الجن، وإن كان من فعل انسان فإن الانسان لا يستطيع أن يفعل مثل هذا.

61- يوم من الشعرى: الشعرى: كوكب في الجوزاء يظهر في ليالي الحر الشديد، أي: يوم من أيام الحر التي يطلع فيها الشعرى-اللواب: اللعاب وهو ما تراه في شدة الحر مثل خيوط العنكبوت في الفضاء وذلك حين يكون الحر مصحوبًا برطوبة-الأفاعي: جمع الأفعى وهي الحية-والرمض: حرارة الشمس على سطح الأرض، المعنى: قد يمر بي يوم من أيام الحر الشديد الذي تنتشر آثاره حتى في الفضاء والذي

62- نَصَبْتُ لَه وَجْهِي وَلاَكِنَّ دُونَه ... وَلاَسِتْرَ إلاّ الأَتْحَمِيُّ المُرَعْبَلُ

63- وَضَافٍ إذَا هَبَّتْ له الرِّيحُ طَيَّرَتْ ... لَبَائِدَ عَنْ أَعْطَافِه مَاتُرَجَّلُ

64- بَعِيدٌ بِمَسِّ الدُّهْنِ وَالْفَلْيِ عَهْدُه ... لَهُ عَبَسٌ عَافٌ مِنَ الغَسْلِ مُحْوِلُ

65- وَخَرْقٍ كَظَهْرِ التُّرْسِ قَفْرٍ ... بِعَامِلَتَيْنِ ظَهْرُهُ لَيْسَ يُعْمَلُ

66- فَأَلْحَقْتُ أَوْلاَهُ بِأُخْرَاهُ مُوفِيًا ... عَلَى قُنَّةٍ أَقْعِي مِرَارًا وَأَمْثُلُ

67- تَرُودُ الأَرَاوِى الصُّحْمُ حَولِي كأنّها ... عَذَارَى عَلَيهِنَّ المُلاَءُ المُذَيَّلُ

68- وَيَرْكُدْنَ بِالآصَالِ حَولِي كأنّنِى ... مِنَ العُصْمِ أَدْفَى يَنْتَحَى الكِيحَ أَعْقَلُ

لا تطيقه حتى الأفاعي التي نبتت في هذه البيئة وتعودت عليها.

62- نصب له وجهي: تعرضت له بوجهي وأقمته في مواجهته، الكن بكسر الكاف الستر-الاتحمى: الثوب الممزق، وهو ضرب من البرود-المرعبل: الممزق، المعنى: في ذلك اليوم الذي لا يطاق حره أواجه هذا الحر ولفح الشمس وليس على جسمي إلا برد ممزق لا يحجب عني الشمس أما وجهي فلست أملك ما يستره أو يحميه من الحر فأواجه به هذا الحر.

63- الضافي: الطويل السابغ يعني شعره، وضاف معطوف على الأتحمي-اللبائد: جمع لبيدة وهي ما تدلى من الشعر على الكتفين في تجمع وتلاصق-العطف: بكسر العين هو الجانب- ترجل: تسرح وتمشط، المعنى: شعره الطويل المتلبد إذا هبت عليه الريح طيرت لبائده المنسدلة على جانبيه وأن تلك اللبائد لا عهد لها بالتسريح.

64- بعيد: منذ زمن طويل - والفلى: التفلية وهي تنقية الرأس من القمل- العبس: بفتح العين والباء: ما تعلق باذناب الإبل والغنم من الروث والبعر فجف عليها-عاف: كثير وهو وصف للعبس- غسل: ما يغسل به الشعر من الصابون- محول: أي أتى عليه الحول ولم يغسل، المعنى: إن شعره منذ زمن طويل لم يعرف الدهن والفلى، ومن كثرة تراكم الأقذار عليه أصبح له عبس يشبه ما يتعلق بأذناب الإبل والغنم، لأنه يقضي الحول ولايغسل.

65- الخرق: بفتح الخاء الأرض الواسعة-الترس: درقة، وكظهر الترس لأنه مستوية-قفر مقفرة ليس بها أحد-والعاملتان: رجلاه-ظهره: يعني ظهر الخرق، ليس يعمل: لم يقطعه إنسان، المعنى: رب واد مقفر مستو ليس فيه مكان يحتمي فيه أو يلجأ إليه إنسان وهو غير مطروق فأقطعه على قدمي.

66- فألحقت أولاه بأخراه: لم يعد هناك فارق بين أوله وآخره لشدة العدو، فمنذ بدأت في أوله كأني لسرعتي أصبحت في آخره- موفيا: مشرفا- القنة: أعلى الجبل-أقعي: أقعد قعدة معينة وهي أن يلصق الرجل مقعده بالأرض، وينصب ساقيه مسندا ظهره-أمثل: انتصب واقفا، المعنى: قطعت الوادي بوقت وجيز وصعدت قمة الجبل حين أقعد على قمتها وحينا أقف لمراقبة الطريق.

67- ترود: تذهب وتجيء- الأراوي: جمع أروية وهي أنثى الوعل- الصحم: جمع أصحم، وهي الوعول السود التي يميل لونها إلى الصفرة- العذارى: جمع عذراء وهي البكر من الإناث- الملاء: نوع من الثياب- المذيل: المهدب الطويل الذيل، المعنى: أثناء بقائي في تلك القمة ألفتني الوعول وتحوم حولي كأنهن عذارى يرتدين ملاءات مذيلة.

68- يركدن: يثبتن ولا يتحركن- الآصال: جمع أصيل وهي الوقت من العصر إلى المغرب- العصم: جمع أعصم وهو الوعل الذي في

قِرَاءَةُ النَّصِّ فِي ضَوْءِ أُسُسٍ نَقْدِيَّةٍ

إن موضوع القصيدة الرئيس دار حول رحلة الشاعر من موطنه الأول، إلى موطنه الثاني بغرض الاستقرار ونيل العزة والكرامة؛ متضمناً عدة المواضيع الجانبية، وانجردت كلها تحت الموضوع الرئيس، فنسج الشاعر بخيوطه الخيالية صورة واضحة دقيقة عن حياة الصعاليك، كأن القصيدة مثل رسوم متحركة ناطقة تعرض لنا حياة الصعاليك ومعاناتهم حلقة فحلقة.

عندما شعر الشاعر بلا انتماء إلى قومه بعدما عرف الحقائق عن نسبه، وتوضح له أن قاتل أبيه من قومه، فاختار الرحيل عنهم، والانضمام إلى الصعاليك، للانتقام من قومه، وكان من أبناء الإماء الحبشية؛ على الرغم أنه أحسن من غيره في القتال، وأشجع في مطاردة الجنايات، وأقوى في الإغارة على أعداء قومه، لكنهم مازالوا لا يعترفون بنسبه ولا يجزونه بالحسنى بل يظلمونه ويحقرونه ويكرهونه، فهذا التعامل الذميم قد ترك أثراً عميقاً في أعماق قلب الشاعر، مما أدى إلى إكثاره نغم التشاؤم والإيباء في قصيدته. فنادى الشاعر قومه في مطلع القصيدة لإعلان مغادرته، فقال:

أقيموا بَنِي أمي صدورَ مَطِيَّكم ... فإني إلى قومٍ سواكم لأَمْيَلُ

فقد حُمَّتِ الحَاجَاتُ واللَّيْلُ مُقْمِرُ ... وشُدَّتْ لِطِيَّاتٍ مَطَايَا وأَرْحُلُ

وفي الأرض مَنْأى للكريمِ عن الأذَى ... وفيها لمن خاف القِلَى مُتَعَزّلُ

لَعَمْرُك ما في الأرض ضِيقٌ على امْرِئٍ ... سَرَى رَاغِباً أو راهِباً وهو يعقِلُ

استهل الشاعر لاميته بالأسلوب الإنشائي الذي يعبر عن موقف المتكلم وما يختلج في نفسه في لحظة التخاطب، فاستخدم صيغة الأمر (أقيموا) لغرض تحضيض قومه على أن يفيقوا من غفلتهم عنه، وعبر عن تهيئته للرحيل وعزمه بقوله (صدور مطيكم) و(الليل مقمر) فالأولى كناية عن الرحيل والثانية كناية عن صفة الرحيل، غرضهما البلاغي توضيح وتأكيده، أما جماليا فقد أضافا جمالا وحسنا على التعبير، إذ جعلت من القارئ متشوقا لمعرفة المعنى الخفي لهذا الكلام الغير مألوف.

كما أن استعمال الكلمات المشددة (مطيَّكم، حُمَّتْ، شُدَّتْ) يوحي إلى حالة من الانقباض النفسي التي يعيشها الشاعر.

من خلال البيت الأول والثاني نلاحظ أن الشاعر قد صممَّ عزمه ودبَّر أمره، ولم يتردد في رحيله-من ناحية-ومن ناحية أخرى أيضا لم نجد طلب بقائه من قومه، فالرحيل قد أصبح ضرورا ومضطرا. أما البيت الثالث والرابع فهما يعدان زبدة القصيدة وخلاصتها، ويحتويان على الحكمة، ويمثلان تجربة الشاعر الشخصية، فكامل القصيدة يدور حولهما.

ثم وضح سبب رحيله وبدأ يصف أهله الجدد، وأشار إلى أنه سيجد أهل أحسن من قومه، ولكن قومه بعد فقدانه لن يجدوا نظيره.

ولي دونكم أهْلُونَ سِيْدٌ عَمَلّسٌ ... وأرْقَطُ زُهْلُولٌ وعَرْفاءُ جَيْأَلُ

ذارعيه بياض- الأدفى: الوعل طال قرنه نحو أذنيه-الكيح: عرض الجبل وناحيته- الأعقل: المتحصن بمعقل أي في جبل عال، المعنى: إن الوعول تثبت ثابتة حين تراني فهي تفد بقربي عند الأصيل مطمئنة كأني تيس وحشي طويل القرنين يقيم بأعلى الجبل في الأماكن التي لا يستطيع الوصول إليها.

هُمُ الأهْـلُ لا مُسـتَودَعُ السِـرِّ ذَائـعٌ لـدَيْـهـم ولا الـجَـانِـى بـمـا جَـرَّ يُـخْـذَلُ
وكُـلُّ أبِـيٌّ بَـاسِـلٌ غـيـر أنَّـنـى إذا عَـرَضَـتْ أولَـى الـطَّـرائِـدِ أبْسَـلُ

وقد استخدم الشاعر هنا استعارة مكنية في قوله (أهْلُونَ سِيْدٌ عَمَلَّسُ)؛ فشبه أصحابه من الصعاليك بالذئب والنمر والضبع في التحلي بالخصال الفضيلة من الشجاعة، والأمانة، وسرعة القوة، وعدم الخذل عن أصحابه، فهذه الصفات الممدوحة يتصف بها كل واحد من أهله الجدد، ولكن قومه افتقدوها، ونبذت فيهم الأخلاق الذميمة، لذلك ارتحل عنهم، وعقد المقارنة بين موطنه الأول وموطنه الثاني، فسما بأهله الجدد إلى المرتبة الأعلى، وفضلهم على قومه، وذلك تمثل في قوله(بني أمي، قوم سواكم، أهلون) فهذه الألفاظ الواردة في القصيدة دلالة واضحة على رغبته الانتماء إلى صفوف الصعاليك، والإيثار والتعايش معهم على إثقال على قومه، واستخدم أسلوب القصر في قوله(هم الأهل) قصر هم على الأهل- كأنه أراد أن يقول هم الأهل الحقيقيون لا أنتم، ثم علل سبب تفضيلهم عليهم باستعمال أسلوب النفي (لا الجاني...) فكان لهذا أثر في إثراء الكلام فنياً إذ أضفى حيوية على التعبير، بالرغم من كونه أراد أن يقَرِّب صورة (عالم الوحوش) إلى ذهن القارئ وإظهار حقيقته.

ثم وصف إلفته لأهله الجدد وإلفتهم له، بصورة خيالية رائعة، وتشبيه بياني دقيق، وأكد لنا سيادته واعتمادهم عليه كما ورد في قوله:

تَرُودُ الأرَاوِى الصُّـحْمُ حَولِي كـأنَّـهـا عَـذَارَى عَـلَـيـهِـنَّ الـمُـلاَءُ الـمُـذَيَّـلُ

أما من حيث المعاني فالقصيدة تمتاز بجزالة اللفظ وبساطة المعنى ودقة الوصف، كما يتصف بها الشعر الجاهلي، ولكن لم تظهر فيها المقدمة الطللية، والنسيب، وبكاء الديار، ووصف الناقة على مثل ما جاء في القصائد الجاهلية؛ كان الشعراء الجاهليون يحرصون على إيراد هذه الأغراض في شعرهم، فمضمونها تتبنى على ثلاثة محاور تدور حول ارتحاله عن قومه وانضمامه إلى صفوف الصعاليك، وحياته بعد الرحيل، فالمحور الأول تناول فيه الحديث عن انذار قومه بمغادرته والذهاب إلي أهله الجدد، والثناء على أخلاق أهله الجدد وأفعالهم، كما ذكرناه في الأبيات السابقة. أما المحور الثاني فجاء على مدح ذكائه وافتخاره بقدرته العقلية وابتعاد نفسه عن الخصال الذميمة التي تسود في موطنه الأول من الجبن مثل النَّعام، وعدم احسانه في رعي الماشية، وملازمة البيت ومغازلة النساء عدم الجلوس مع الرجال، واعتماده على المرأة في أخذ القرار، وتزين مثل النساء بالدهون والكحل، وعدم الاهتداء في الفلاة، لنلقي نظرة إليها:

وَلَسْـتُ بمِهيـافٍ يُعَشِّـى سَـوامَـه مُـجَـدَّعَـةً سُـقْـبَـانُـهـا وَهْـىَ بُـهَّـلُ
ولا جُـبَّـاءٍ أكـهَـى مُـرِبٍّ بِـعِـرْسِـه يُـطَـالِـعُـهـا فـي شَـأنِـه كَـيْـف يَـفْـعَـلُ
ولا خَـرِقٍ هَـيْـقٍ كـأنَّ فُـؤادَه يَـظَـلُّ بـه الـمُـكَّـاءُ يَـعْـلُـو وَيَسْـفُـلُ
ولا خـالـفٍ دَارِيَّـةٍ مُـتَـغَـزِّلٍ يَـرُوحُ وَيَـغْـدُو دَاهِـنـاً يـتـكَـحَّـلُ
وَلَسْـتُ بِـعَـلٍّ شَـرُّه دُوْن خَـيْـرِه أَلَـفَّ إذا مـا رُعْـتُـه اهْـتَـاجَ أعْـزَلُ
وَلَسْـتُ بِمِحْيـارِ الظَّلاَمِ إذا انْتَحَـتْ هُـدَى الـهَـوْجَـلِ الـعِسِّـيـفِ يَـهْـمَـاءُ هَـوْجَـلُ

ثم مضى على وصف قوة جسمه، وسرعة عدوه، والاعتداد بتحمل الجوع، واعتزاز بالإباء، وإيثار على بلوع التراب بدلاً عن مد اليد إلى قومه، كما ورد في قوله:

إِذَا الأَمْعَزُ الصَـوَّانُ لاَقَى مَنَاسِـمِى ... تَـطَـايَـرَ مِـنـه قَـادِحٌ وَمُـفَـلَّـلُ

أَدِيمُ مِـطَـالَ الـجُـوع حَـتَّـى أُمِـيـتُـه ... وَأَضْـرِبُ عنـه الـذِّكْـرَصَـفْـحـاً فَـأَذْهَـلُ

وَأَسْـتَـفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كَيْلاَ يَرَى لـه ... عَـلَـيَّ مِـن الـطَـوْلِ امْـرُءٌ مُـتَـطَـوِّلُ

وَلَولَا اجْتِنَـابُ الـذَّأمِ لَمْ يُلْفَ مَشْـرَبٌ ... يُـعَـاشُ بـه إلاّ لَـدَيَّ وَمَـأكَـلُ

وَلَـكِـنَّ نَـفْسًـا مُـرَةٌ لاَتُـقِـيمُ بِـى ... عَـلـى الـذَّأمِ إلّا رَيْـثَـمَـا أَتَـحَـوَّلُ

وَأَطْوِى عَلَى الخَمْصِ الحَوَايَا كمـا ... انْـطَـوَتْ خُـيُـوطَـةُ مَـارِىٍّ تُـغَـارُ وَتُـفْـتَـلُ

فهو قوي الجسم، سريع الخطو، وحين يعدو تتطاير الحجارة الصغيرة تحت قدميه، ويضرب بعضها بعضا، يخرج منها الشرر، وتتكسر، فهذا مظهر من مظاهر الصمود والمعاناة التي يتعرض لها الصعلوك. ثم ينتقل من الحديث عن صفته الجسمية إلى صفاته النفسية، وهي القدرة على التحمل، ومداومة الصبر على الجوع الشديد، وله طريقته الخاصة في التغلب عليه، حيث يشاغل الجوع ويتجاهله ويماطله حتى يفنيه فيتناساه، وكأنه غير جائع. عندما يقف القارئ عند هذه الأبيات متأملاً فلا يصعب عليه أن يجد جمال التصوير ورقة التعبير في وصف شدة الصبر والتحمل (وأطوي على الخمص الحوايا كما انطوت خيوطة ماري تغار وتفتل) فصور لنا الأمعاء الخاوية على أنها حبال مفتولة، فذكر المشبه الذي هو الأمعاء، والمشبه به الحبال، وذكر وجه الشبه الإتقان وحذف الأداة على سبيل تشبيه مرسل مجمل. فالغرض منه تبيان حال المشبه، وتوضيح المعنى، إذ تكمن جمالية هذا التشبيه في زيادة دقة التعبير وروعة الكلام يجعله غير متوقع، إذ من الصعب على القارئ أن يحظر على باله تشبيه الأمعاء بالحبال، مما يجعله محتارا، وهذه الحيرة دليل على جمالية النص الشعري.

فلاشك في أن الوصف في البيت الثاني والثالث دقيق وواضح، _من ناحية _ يحتوى على الدروس التعليمية لمن أراد الانضمام إلى الصعاليك، ومن ناحية أخرى_ أبرز إباء الشاعر ورصده بلوحة فنية بارعة. وأيضا شبه الشاعر نفسه بالذئب في ضنك العيش، كأن شأنه كشأن الذئاب في تحمل الجوع، ومعاناة الحياة قال:

وَأَغْـدُو عَلَى القُوتِ الزَهِيـدِ كمـا غَـدَا ... أَزَلُّ تَـهَـادَاهُ الـتَّـنَـائِـفُ أَطْـحَـلُ

غَـدَا طَـاوِيـاً يُعَـارِضُ الرِّيحَ هَـافِيـاً ... يَـخُـوتُ بِـأَذْنَـابِ الشِّـعَـابِ وَيَـعْسِـلُ

فَـلَـمَّـا لَـوَاهُ الـقُـوتُ مِـن حَـيْـثُ أَمَّـهُ ... دَعَـا فَـأَجَـابَـتْـهُ نَـظَـائِـرُ نُـحَّـلُ

مُـهَـلْـهَـلَـةٌ شِـيـبُ الـوُجُـوهِ كـأَنَّـهـا ... قِـدَاحٌ بِـكَـفَّـىْ يَـاسِـرٍ تَـتَـقَـلْـقَـلُ

يرسم الشاعر لنا صورة جميلة متحركة، من خلال لوحة الذئب الجائع، بالعكس على المعاناة وشدة الظروف التي يعاني بها الصعاليك، بسبب الجوع الشديد الذي يتعرض الشاعر له يؤدي إلى نحول جسمه وقلة لحمه، فشبه نفسه بذئب أصابه الهزال من شدة الجوع فأخذ يتنقل في الفلوات، بحثًا عن الطعام، ووجه الشبه بينهما شدة الجوع،

وهو تشبيه مرسل مجمل حيث تمثلت بلاغة هذا التشبيه في توضيح المعاناة وتأكيدها بلاغيا، أما جماليا فقد رسم صورة جادة بالغة الأسى تجعل القارئ يسقط كل الفوارق بين الإنسان والحيوان في لحظة الجوع.

فجسد الشاعر ما يجيش في صدره من معاناة الحياة أمامنا بصورة واضحة مستوحية، ومن وحي الموازنة بينه وبين الذئاب من خلال وصف المشاهد المتنوعة إشارة خفيفة إلى قنطه في مواجهة المعاناة وندمه عن الخروج من قومه، لكنه لم يلبث أن شكى حتى تحول حزنه وشكواه إلي الصلابة والقوة، وافتخر بسرعة عَدْوِه، وتسابقه مع القطا وسبقه في الوصول إلى مورد الماء لما شرب وارتوى وصل القطا فلا يجد إلا بقية من شرابه:

وَتَشْـــرَبُ أَسْـــآرِى القَطَا الكُدْرُ بَعْدَمَا ... سَـــرَتْ قَـرَبـاً أَحْـنَـاؤُهـا تَـتَصَـــلْصَـــلُ

هَمَمْـتُ وَهَمَّـتْ وَابْتَـدَرْنَـا وَأَسْـــدَلَـتْ ... وَشَـــمَّـــرَ مِـنِّـــى فَـــارِطٌ مُـتَـمَـهِّـلُ

فَوَلَـيْـتُ عَـنْـهـا وَهِـى تَـكْـبُـو لِـعَـقْـرِهِ ... يُـبَـاشِـــرُهُ مِـنِـهَـا ذُقُـونٌ وَحَـوْصَـــلُ

كـأَنَّ وَغَـاهَـا حَـجْـرَتَـيْـه وَحَـوْلَـهُ ... أَضَـــامِـيـمُ مِـنْ سَـــفْـرِ الـقَـبَـائِـلُ نُـزَّلُ

تَـوَافَيْنَ مِنْ شَـتَّـى إلـيـه فَضَـمَّـهـا ... كَـمَـا ضَـــمَّ أَزْوَادَ الْأَصَـــارِيـمِ مَـنْـهَـلُ

فَعَبَّـتْ غِشَـــاشًـــا ثُمَّ مَرَّتْ كـأَنَّـهـا ... مَـعَ الصُّـــبْـحِ رَكْـبٌ مِـنْ أَحَـاظَـةَ مُـجْـفِـلُ

فيعلن الشنفرى عن بعض مقومات الصعلكة التي لا تتوافر لكل صعلوك وهي سرعة العدو، وهي وإن كانت تتوافر في غيره إلا أن هذه الموهبة قد تحققت لديه بصورة جعلته مضرب المثل في ذلك حتى قيل: (أعدى من الشنفري، أعدى من السليك بن السلكة)، ويتعرض لنا دليلًا محسوسًا على سرعته، من خلال صورة التسابق إلى مورد المياه مع طيور القطا المعهودة بسرعتها بين الطيور، ولكن الشنفرى يفوقها في عدوه، ويسبقها في الوصول إلى الماء، فيشرب منه ويرتوي قبل أن تصل إليه، فإذا ما وصلت لا تجد إلا قليلًا من الماء. صور لنا الشنفرى صورة التسابق مع القطا إلى مورد الماء بأسلوب قصصي مثير، ومجموعة من الصور البيانية، نذكر منها:

- الكناية في قوله (أسْدلتْ) والمعنى الخفي من وراءها عدم الاستسلام، حيث أن القطا معروف بسرعته الفائقة، إذ يقضي ليلة كاملة للوصول إلى الماء، إلا أنه يصل متعبا بينما هو يصل بسرعة أسبق منه وبدون عناء، كأن الأرض انبسطت لتسهل الطريق وهذا معنى جميل تستحسنه القلوب قبل الأسماع.
- استعمل جملة من التشبيهات:

_ كأن وَغَاها حجريته.....تشبيه مرسل مجمل.

_ فعبت غشاشا ثم مرت كأنها..... تشبيه مرسل مجمل.

فهذه الصور البيانية ركبها بشكل منتظم، إذ شكلت بناءا فنيا رائعا، فتكاد تشبه القصة، فالداعي وراء استعماله لهذه الصور هو الاعتداد بالذات والإحساس بالتميز والتفرد، أما جماليا فأضاف إلى الوصف دقة، بحيث استحضر كل ما عاشه أمام القارئ يعيشه تجاربه.

المحور الثالث جاء على وصف حياة الصعاليك العصيبة مفصلا، واستعرض الشاعر لنا صور الصعاليك بوصف دقيق، وتجسدها على وجه أجمل وأدق من خلال أخيلته الواسعة التي تمتزج بتجربته الشخصية،

ومنها افتراش الأرض والالتحاف بالسماء، وتوسد الزراع، وجسمه قليل اللحم وبارز العظم، عندما ينام مستلقياً على الأرض ويتوسد ذراعيه النحيفتين كأنها مرفق االقدم:

وآلِفُ وَجْـهَ الأَرْضِ عند افْتِرَاشِـهَـا ... بِـأَهْـدَأَ تُـنْـبِـيـهُ سَـنَـاسِـنُ قَـحَّـلُ

وَأَعْدِلُ مَنْحُوضًـا كـأَنَّ فُصُـوصَـهُ ... كِـعَـابٌ دَحَـاهَـا لاَعِـبٌ فَـهِـيَ مُـثَّـلُ

وأيضا وصف شَعْره بسبب عدم الغسل والتسريح والفلي التصق بعضه في بعض:

وَضَـافٍ إِذَا هَبَّـتْ لـه الرِّيحُ طَيَّرَتْ ... لَـبَـائِـدَ عَـنْ أَعْـطَـافِـه مَـاتُـرَجَّـلُ

بَـعِـيـدٌ بِـمَسِّ الـدُّهْنِ وَالْـفَـلْـيِ عَـهْـدُه ... لَـهُ عَـبَـسٌ عَـافٌ مِـنَ الـغَسْـلِ مُـحْـوِلُ

والصعاليك بسبب كثرة جرائرهم فهم مُتَرَبِّصُونَ من أعدائهم، فالموت يحضرهم في كل لحظة حتى لايستطيع أن ينام نوماً عميقاً، وهم أخف رأساً من الذئب في نومهم:

تَـنَـامُ إِذَا مَـا نَـامَ يَـقْـظَـى عُـيُـونُـهـا ... حِـثَـاثًـا إِلـى مَـكْـرُوْهِـه تَـتَـغَـلْـغَـلُ

وهذا الشعور مثل الحمى تأخذه دوماً، عندما غلب عليه فيرجع إليه مرة ثانية، فهو في كل لحظة مستعد لضد الهجوم والإغارة من أعدائه:

وَإِلْـفُ هُـمُـومٍ مَـا تَـزَالُ تَـعُـودُه ... عِـيَـادًا كَـحُـمَّـى الـرِّبْـعِ أَوْ هِـيَ أَثْـقَـلُ

إِذَا وَرَدَتْ أَصْـدَرْتُـهـا ثُـمَّ إِنَّـهـا ... تَـثُـوبُ فَـتَـأْتِـى مِـنْ تُـحَـيْـتٍ وَمِـنْ عَـلُ

فلا حال له إلا أن يتسلح نفسه بالصبر وقلب السمع:

فَـإِنِـى لَـمَـولَـى الصَّـبْـرِ أَجْـتَـابُ بَـزَّهُ ... عَـلَـى مِـثْـلِ قَـلْـبِ السَّـمْـعِ وَالْـحَـزْمَ أَنْـعَـلُ

ويتخذ قلباً شجاعاً، وسيفاً مسلولاً، وقوساً طويل العنق عزاءاً له بدلاً عن قوم ارتحل عنهم لأنه لم يجد فيهم خيراً إلا الكراهة:

وإِنِّـى كـفـانِـى فَـقْـدَ من لـيس جَـازِيـاً ... بِـحُـسْـنَـى ولا فـي قُـرْبِـهِ مُـتَـعَـلِّـلُ

ثَـلاَثَـةُ أصـحـابٍ: فـؤادٌ مُشَـيَّـعٌ ... وأبـيَـضُ إصـلـيـتٌ وصـفـراءُ عَـيْـطَـلُ

والسلاح يعتبر جل مال الصعاليك، فخصص الشنفرى في هذه القصيدة وصف قوسه في بيتين، وافتخر بحسن صناعة قوسه، وهو ماهر في الرمي ولا يخطأ هدفه، عندما خرج السَّهم من القوس فيسمع صوت امرأة تنوح كأنها فقدتْ ولدها:

هَـتُـوفٌ من الـمَـلْـسِ الـمُـتُـونِ يَـزِيـنُـهـا ... رَصَـائِـعُ نِـيـطَـتْ إِلـيـهـا ومِـحْـمَـلُ

إذا زَلَّ عنـهـا السَّـهـمُ حَنَّـتْ كـأَنَّـهـا ... مُـرَزَّأَةٌ عَـجْـلَـى تَـرِنُّ وتُـعْـوِلُ

كما أثبت ذلك في بيت آخر، أقتل رجالا فأصبحتْ زوجاتهم أيامى وأولادهم يتامى:

فَـأَيَّـمْـتُ نِسْـوَانًـا وَأَيْـتَـمْـتُ إِلْـدَةً ... وَعُـدْتُ كَـمَـا أَبْـدَأْتُ وَالْـلَـيْـلُ أَلْـيَـلُ

على الرغم من أن السلاح يعد أهم وسيلة لحماية الحياة من الأعداء، وخاصة القوس فهو مهم جدا بالنسبة للصعاليك، ولكن الشاعر في ليلة شديدة البرد فيها لا يطاق، فلم يجد شيئا ليستدفئ به؛ فاضطره البرد القارس إلى إيقاد القوس المفضل لديه، وتقطيع أسهامها ليستدفئ بنارها من شدة البرد:

وَلَيْلَةٍ نَحْسٍ يَصْطَلِي القَوسَ رَبُّهَا وَأَقْطَعُهُ اللّاتِي بِهَا يَتَنَبَّلُ

دَعَسْتُ عَلَى غَطْشٍ وَبَغْشٍ وَصُحْبَتِي سُعَارٌ وَإِرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأَفْكَلُ

فَأَيَّمْتُ نِسْوَانًا وَأَيْتَمْتُ إِلْدَةً وَعُدْتُ كَمَا أَبْدَأتُ وَاللّيلُ أَلْيَلُ

نلاحظ أن الشاعر قام بإغارة في ليلة باردة التي أجبرته على أن يتدفئ فيها بإيقاد قوسه من البرد، مع ذلك خرج في الظلمة والمطر متوجها إلى مقصده، فالبرد أمسكه من الخارج والجوع أمسكه من الداخل حتى ارتعش جسمه من البرد والخوف، ولكنه وصل إلى هدفه ونفذ العملية بسرعة خاطفة، والبنية في هذين البيتين جاءت على صيغة المتكلم فلا تخلو من المبالغة والغلو، من أجل إقناع المتلقي صاغ الشاعر الأبيات التالية على صيغة الغائب بشكل طرح السؤال والإجابة عليه، ليزيد ثقة الحدث، ويقنع المتلقي، ليتأثر بأثره، ويشعر بأنها موضوعية وليست ذاتية، وواقعية وليست أسطورية:

وَأَصْبَحَ عَنِّي بِالغُمَيصَاءِ جَالِسًا فَرِيقَانِ: مَسْؤُولٌ، وآخَرُ يَسْأَلُ

فقالوا: لَقَدْ هَرَّتْ بِلَيلٍ كِلاَبُنَا فَقُلنَا: أَذِئْبٌ عَسَّ أَمْ عَسَّ فَرْعَلُ

فقُلنَا: أَذِئْبٌ عَسَّ أَمْ عَسَّ فُرْعُلُ فَقُلنَا قَطَاةٌ رِيعَ أَمْ رِيعَ أَجْدَلُ

فإنْ يَكُ مِنْ جِنٍّ لأبْرَحُ طَارِقًا وَإِنْ يَكُ إِنْسًا مَا كَهَا الإِنْسُ تَفْعَلُ

أما من ناحية البنية فهذه القصيدة قد جاءت على بنية متماسكة بعضها بعضاً، وحققت الوحدة الموضوعية من ناحية ومن ناحية أخرى حققت الوحدة العضوية، فالموضوع الرئيس جاء على وصف حياة الصعاليك، وأداره الشاعر حول حياته العصيبة في الصحراء، وأربطه بعدة مواضيع جانبية يترابط بعضها بعضاً ترابطاً، لإخراج صور دقيقة متلونة من خلال الكلمات المستوحية التي تتدفق في صدره، فكل الصور كانت مترابطة كأنها تسرد تجربة الشاعر في الصحراء على شكل مسلسلة، يمكن للقارئ رصد صورة الذئاب الجائعة أو القطا الظامئة أو الإغارة في الليلة الباردة التي أيَّم فيها نسواناً وأيتم ولدة، وكل التصوير مرتبط بجرس موسيقي ينقل الأحداث إلي القارئ، ومن وحي هذه الصور المختلفة المتنوعة التي ترابط بالإطار العام نرصد مشاعر التشاؤم والعواطف المأساوية التي شكَّلت إحساساً عاماً بالمعاناة والقهر.

أما من ناحية اللغة فهذه القصيدة وردت فيها بعض الكلمات الغريبة فيصعب على القارئ أن يفهمها إلا بالاستعانة بالقاموس، لنضرب مثلا بالبيت التالي:

دَعَسْتُ عَلَى غَطْشٍ وَبَغْشٍ وَصُحْبَتِي سُعَارٌ وَإِرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأَفْكَلُ

لعل هذا السبب يرجع إلى أمرين: الأول يتعلق ببيئة التي يعيش فيها الشاعر، والثاني يتعلق بما أراد الشاعر أن يصفها من الحيوان المتوحش في الصحراء، ربما هذه المفردات أو الكلمات عند أهل البدو مألوفة ومعروفة، لأنها كلها تجري تحت وصف حياتهم وتجربتهم.

أما من ناحية الأسلوب فهذه القصيدة لديها بعض القضايا اللغوية في التركيب التي تربط بموضوع القصيدة علاقة وثيقة، فهي تمثلت في الفصل أو التقديم والتأخير بين أركان الجمل، لنأخذ بيتين باعتبارهما مثالاً:

أقيموا بَنِي أمي صدورَ مَطِيَّكم فإني إلى قومٍ سواكم لأمْيَلُ

في صدر البيت فصل الفعل والمفعول به بجملة النداء بني أمي، وفي عجزه فصل بين خبر إن بشبه جملة متعلقة إلى قوم سواكم.

ولي دونكم أهْلُونَ سِيْدٌ عَمَلّسٌ وأرْقَطُ زُهْلُولٌ وعَرْفاءُ جَيْأَلُ

في صدر البيت قدَّم الخبر لي وأخَّر المبتدأ أهلون، وفي عجزه قدَّم الصفة عرفاء وأخَّر الموصوف جيأل، من الأرجح أن هذه القضية تتعلق بالعوامل المؤثرة في شخصيته، فالتعامل السيئ من قومه أضطره إلى الارتحال عن موطنه الذي نشأ وترعرع فيه، وتأثر قلبه بذلك التعامل إلى حد أن ينظر المجتمع بمنظار الكراهية، وتعج كل القصيدة بالفخر الذاتي والعواطف المأساوية مرتبطة بالتشاؤم والقهر المسيطر عليه، وتعكس المتناقضة بين موطنه الأول وموطنه الثاني، كأن الحياة المتناغمة التي يتطلع الشاعر إليها بعيدة المنال، وحياة الشقاء المكروهة التي رفضها الشاعر قريبة الوصول، وأيضا نلاحظ أن قافية القصيدة جاءت على اسم التفضيل وصيغة أفعل بما يساوي ثُلث القصيدة، فعكستْ نفسية الشاعر على صورتين متناقضتين، الطيِّب الأقصى والقاسِي الأقصى.

الخاتمة:

سلطت هذه الدراسة الضوء على دراسة لامية الشنفرى دراسةً أدبيةً نقديةً ولغويةً وبلاغيةً، حيث ظهر في المقدمة الحديث عن أصالة لامية الشنفرى ومنزلتها بصورة مختصرة، وجاء بالتمهيد التعريف على مفهوم الصعلكة وطوائف الصعاليك، وأسباب تصعلكهم، ثم جاء الحديث عن سيرة الشنفرى واستعراض مناسبة القصيدة والعوامل البيئية والنفسية في صياغتها، وعرض النص الكامل مع الشرح المبسط، وبعد ذلك تم تسليط الضوء على تحليل النص وتذوقه من حيث البناء الفكري واللغوي والبلاغي والأسلوبي بغية الوصول إلى الهدف المرجو.

يلاحظ أن الشاعر نسج صورة واضحة عن حياة الصعاليك بخيوطه الخيالية زاخرة تجربته الشخصية، فجاءت القصيدة مطابقة كل المطابقة لشخصيته بما فيها من مقومات، وعقليته بما فيها من عمق ونضوج، وظروفه بما فيها من قسوة وجفاف، حتى كانت القصيدة مرآة صقيلة نرى فيها الشنفرى وحياته بوضوح.

أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:

- الصعاليك هم طائفة متكونة من أغربة العرب والخلعاء والفقراء، فهم يتشاركون بعضهم بعضا في السراء والضراء.
- والصعلكة كان شكلاً إيجابياً ومضطراً في ذلك الوقت رغم أنها قامت على السلب والنهب، لأن هؤلاء الصعاليك يعيشون في الحرمان من الحصول على نصيب ما ينبغي عليهم، ويعانون بالهوان والضعة فلجؤوا إلى أخذ سلاحهم ليدافعون عن أنفسهم بالغزو والسطو، ويأخذون نصيبهم في الحياة بوسائلهم.
- لامية الشنفرى قصيدة طويلة من عيون الشعر العربي، وحظيت بأهمية كبيرة بين القصائد العربية، فقد شرحها كثير من العلماء عبر العصور الأدبية المختلفة،

لعل السبب في تلك الأهمية راجع إلى ما تميزت به من قوة في البناء وجودة في السبك، أضف إلى ذلك طبيعة موضوعها، وهي مرآة صافية تعكس أوجه الحياة والثقافة العربية القديمة، وخاصة حياة الصعاليك وروحهم البدوية.

- تبين لنا أن الشنفرى يتصف بجملة من الفضائل والقيم، يأتي في مقدمتها الشجاعة والإقدام، التي لم تكن تعني التهور والطيش، بقدر ما كانت تعني الإقدام في مواضع الإقدام والإحجام متى دعت الضرورة لذلك.

التوصيات:

- أوصى بإجراء دراسة أدبية حول قصائد أخرى للشنفرى.
- يؤخذ بعين الاعتبار في دراسة شعر الصعاليك لما فيه من الحكم والقيم.
- أوصى بالتعرف على جوانب أخرى في لامية الشنفرى حيث لم يتم حتَّى الآن، ورصد ملامحها الفنية مقارنة بالعناصر الفنية.
- أوصى بإجراء دراسة مقارنة بين لامية العرب ولامية العجم، لإبراز الجوانب الفنية المختلفة بينهما.
- أوصى بتصميم وحدات دراسية من لامية الشنفرى على أسس علمية سليمة وتوظيفها في تدريس اللغة العربية.

المصادر والمراجع

1. ضيف، شوقي (د.ت). تاريخ الأدب العربي، دار المعارف بالقاهرة.
2. يعقوب، د. إميل بديع (1996م). ديوان الشنفرى، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي.
3. مدرك، أبو صالح يحي (1994م). ديوان حاتم الطائي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي بيروت.
4. محمد أسماء أبوبكر (1998م). ديوان عروة بن الورد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
5. ديوان الهذليين (1965م). الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة.
6. ابن سلام، محمد (د.ت). طبقات فحول الشعراء، شرحه محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة.
7. علاونة، شريف راغب (2005م). عمر بن براقة الهمداني شعره وسيرته، الطبعة الأولى، دار المناهج للنشر والتوزيع عمان- الأردن.
8. الأصفهاني، أبو الفرج (2008م). كتاب الأغاني، حققه إحسان عباس، الطبعة الثالثة، دار صادر بيروت.
9. الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (1955م) مجمع الأمثال، حققه وفصله محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة السنة المحمدية
10. علي، جواد، (1993م). المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الثانية، ساعدت جامعة بغداد على نشره.
11. صفدي، مطاع وحاوي، إيليا، (1974م). موسوعة الشعر العربي، شركة خياط للكتب والنشر-بيروت لبنان.

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v3.32.3